

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

برل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصة والخيال

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الخامس ١٩ محرم سنة ١٣٥٦ - ١ أبريل سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

الرواية

رغب إلينا كثير من أصدقاء الرواية أنهم يفضلون أن تقتصر على نشر الأقاصيص القصيرة ، فإن تسلسل القصص الطويلة يتخذ نشاط القارئ ويذهب جاذبية الحديث . وفي هذه الرغبة المسببة لاشك سداد ووجاهة . غير أن الفن القصصي كله أوجله في هذه الطولات الرائعة ، فإذا أغفلناها لهذه الأسباب قطعنا عن الأدب العربي الرافد الأغزر ، وخرجنا بالرواية عن الغرض الأجل . لذلك سنحاول التوفيق بين رغبة القارئ وغرض الرواية بأن نقطع هذه السلاسل فلا نبقى منها إلا الاعترافات والمذكرات ، لأن موضوعاتها تكاد أن تستعمل ، وإلا الأوديسة ، فإن أناشيدها توشك أن تنتهي ؛ ثم ننشر من حين إلى حين قصة من بدائع القصص الطويلة كاملة في عدد واحد . وبذلك تساهم الرواية مساهمة صحيحة في ترقية القارئ العربي والأدب العربي بما راع وخلد من الفن القصصي الصحيح

فهرس العدد

صفحة	
٢٦٦	الوصية نجى دى موباسان
...	بقلم أحمد حسن الزيات
٢٧٠	البدكان أفسوسة مصرية
...	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ...
٢٨٢	غرام الشعراء أفسوسة فرانية : ف . ف
٢٨٥	يوميات نائب في الأرياف صور مصرية ...
...	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٢٩٠	صحيفة للكتاب الفرنسي أندريه كورتيس
...	بقلم الدكتور محمد الترافعي
٢٩٧	الكتاب الروسي ليونيد الدرييف
...	بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي ...
٣٠٧	الحذاء المشنوم للكاتبة الإيطالية جرازيا دليدا
...	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٣١١	اعترافات فتى العصر لألفريد دى موسيه ...
...	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٣١٨	الأوديسة هومروس
...	بقلم الأستاذ دريني خشبة
٣٢٤	سر أبي الهول لموريس رستان
...	بقلم الأستاذ خليل هندواي



للقصص الفرنسي جي دي موباسان
مقتله
احمد حسن الزيات

الوصية

ما تستغربه . وعهدى بك رجلاً ذكياً فلا أخشى
أن يؤذى صداقتك هذا الحديث ؛ وإذا تأثرت به
وتأملت منه فإن أحرص بعد اليوم على أن يكون
لى منك صديق

إن أوى — عقيلة كورسيل — كانت امرأة حديثة
السن حبيبة الطبع خافضة الجناح ، خطب زوجها
منها المال ، وتزوج منها الثروة ؛ فكانت حياتها
ممه حياة الشهيد المذب . هذه الفتاة الودود الخرود
الرقيقة عامها ذلك الفلاح الجاف الذى كان يجب أن
يكون أبى ، معاملة جافية قاسية من غير هوادة ولا رحمة
لم يكذب ينقضى شهر واحد على زواجهما حتى
كان يمايش خادمة من الخدم ؛ وكان يتخذ فضلاً
عن تلك نساء مستأجرى مزرعته وبناتهم حظايا
وخلال ؛ ولم يمنعه ذلك من أن يكون له من زوجته
ولدان ، وقد كان الناس يعدونهم — وأنا فيهم — ثلاثة
كانت أى تمتص بالسكوت وتلوذ بالصبر وتعيش
فى هذا البيت الصاحب اللعاب كما تعيش الفيران
الصغيرة التى تسرق الخطى وراء الأثاث ، وتختلس
الأنظار بين القروش

كانت تنظر إلى القوم وهى مزوجة مخفية راجفة
بعين ناقبة قلقة كأنها عين الفيزع ، فلا تستقر فى

عرفت الفتى (رينيه دي برينفال) شاباً عظيم
البسطة لطيف العشرة ، نفشى وجهه سحابة رقيقة
من الحزن تكاد لا تنقشع ؛ وهو شديد التشاؤم ،
صريح التشكك ، لاذع النقد ، بارع السخرية من
نفاق الناس واؤم العالم ؛ يقول وكثيراً ما يقول :
« إن الناس ليس فيهم صالح ؛ وإذا كان فيهم عفة
فهى بالأضافة إلى ما فيهم من الدعارة »

كان له أخوان من آل (كورسيل) لا يحجمه
وإياهما ظل ، فكنت أظنه من رجل آخر غير أبيهما ،
نظراً لاختلاف اسمه عن اسميهما ؛ وقد اضطربت
الأسنة فى مناسبات كثيرة بأن حادثاً غريباً وقع
فى هذه الأسرة ، ولسكنها لم تفصل الخبر ولم تنقص
الحادث . وجب إلى هذا الشاب كرم شمائله فتوثقت
بيننا أسباب الألفة ، وانصت زيارات الودة

فى ذات مساء سألته عرضاً وأنا أتعشى على
مائدته أما وهو من غير ثالث : « أولدت على فراش
أمك الأول أم على فراشها الثانى ؟ » فانتسف وجهه
قليلاً ثم نصرج ، وبقي لحظة لا يتكلم وقد بدت على
محياه ربكة ظاهرة ؛ ثم ابتسم ابتسامته الساعمة المذبة
وقال : « إذا كنت يا صديق تيسط الحديث وتنشط
لسماعه ، فسأقص عليك من نبأ مولدى ومحمدى

لا يلاطفانها ولا يحفلانها ؛ وقد تعودا أن يراها في البيت من سقط المتاع ، وأن يعاملاها معاملة الخدم وقد كنت أنا الوحيد من بين أبنائها الذي بادلها حباً بحب وإخلاصاً بإخلاص

ثم توفيت وأنا في الثامنة عشرة من عمري . ولا بد أن أقول لك تستطيع فهم ما يلي من الحديث : إن زوجها كان مهموراً بحكم شرعي يحمل لها الحق في استقلالها بإدارة أموالها ، فكان لها بفضل حيلة القانون وذكاء المسجل ، أن توصى بما تشاء لمن تشاء . أبلغنا بعد وفاتها أنها تركت عند هذا المسجل

وصية ، ثم دعينا إلى محضر قضها وقراءتها . لا أزال أذكر ذلك كأنه حدث أمس : كان منظر أعظم أليما ، مبهكياً مضحكاً ، مفاجئاً مدهشاً ، أحده تورد بعد الموت ، واحتجاج من جوف القبر ، وصوت الحرية اليائس ينبعث رهيباً من خلال النابوس المقفل ، يحمل شكوى هذه القبيحة الشهيدة التي أشقتها أخلاق الناس وسحقها تقاليد المجتمع . كان الرجل الذي يظن نفسه أبي دموياً لحياً كأنه جزار ؛ وكان أخوأي فتين قوين أحدهما في الثانية والعشرين والآخر يصغره بسنتين ؛ وكان ثلاثهم ينتظرون مطمئنين على المقاعد . أما السيد بورنيقال ، وقد دعى أيضاً إلى شهود هذه الجلسة ، فقد دخل وأخذ مكانه خافئ ؛ وكان في رد بجونه الضيقة صاحب اللون كاسف البال يعرض شاربه الذي أخذ يشهب ؛ فلا جرم أنه كان يتوقع ما سيحدث أغلق المسجل الباب بالمقفل والرنج وشرع يفض أماننا الغلاف المختم بالشمع الأحمر وهو يجهل ما يحتويه ، ثم أخذ يقرأ :

محجرتها ولا تطمئن . على أنها كانت رائحة الحسن ، بارعة الظرف ، شقراء الشعر ، في شقرتها لون من الشبهة ، ومعنى من الحياء ، كأنما لوحت شعرها مخاوفها المستمرة

وكان من بين الأصدقاء المختلفين إلى قصر السيد كورسيل ضابط قديم من ضباط الفرسان أرمل مرهوب الجانب ، رقيق القلب ، حاد الطبع ، إذا أزعج أسراً لم يثنه عنه شيء ؛ ذلك هو السيد برنيقال الذي أحمل اسمه . كان رجلاً مديد القامة ، مجذول الخناق ، خفيف البدن ، أسود السبلتين ، غليظ الشارب ، يشبهني كثيراً وأشبهه . يقرأ كما يقرأ الأدباء ، ولا يفكر كما يفكر أهل طبقته ؛ كانت جدته العليا صديقة لجان جاك روسو ، فكانما ورث عنه شيئاً من طريق هذه العلاقة . حفظ كتابيه (العقد الاجتماعي) و (هيلوز الجديدة) عن ظهر قلب ، ودرس سائر كتبه الفلسفية التي مهدت عن بعد لهذا الانقلاب الذي حدث لعاداتنا الباطلة وآرائنا الفائلة وآدابنا السخيفة

أحب أمي وأحبته كما يظهر ، وظلت هذه العلاقة سرّاً مكتوماً لا بطير في جنباتها ظن ، ولا تحوم حولها شبهة . ورأت هذه المرأة المسكينة الحزينة نفسها مفروكة متروكة ، فتعلقت بأسباب هذا الرجل تعلق اليائس ، واتخذت في معاملتها طريقته في التفكير ، ونظريته في العاطفة الحرة ، وجرأته في الحب المستقل ؛ ولكنها كانت من الحياء والخفر بحيث لا تجرؤ على أن ترفع صوتها بالكلام ، فظلت هذه الأهواء والآراء في قلبها المعلق مكظومة مركومة مركزة

وكان أخوأي كأبيهما قاسيين عليها ،

أمسك صديقي عن الكلام فجاء ؛ ثم قام إلى درج في مكتبه فأخرج منه قرطاساً قديماً فنشره ثم قبله طويلاً ودفعه إلى وهو يقول : « هذه هي وصية أمي المحبوبة فاقرأ » فقرأتها فإذا فيها :

« أنا — آن كاترين جنيفيف ماتيلد دي كروا كسيلوس ، الزوجة الشرعية لجان ليوبولد يوسف جونتيران دي كورسيل — أعلن وأنا صحبة الجسم سليمة العقل إرادتي الأخيرة

« استغفر الله أولاً ، وولدي العزيز رنيه ثانياً ، من العمل الذي أريد أن آتيه . وفي اعتقادي أن ولدي من كبر النفس وسمو الماطفة بحيث يفهم حقيقة أمرى ، ويقبل واضح عذرى . لقد قضيت حياتي بأئسة ممذبة . كان زواجى مسألة حسائية مالية ، فلا غرو أن تكون حياتى الزوجية سلسلة من الأنكار والاحتقار والاضيم . يعنف على زوجى من غير رحمة ، ويختانى من غير هدنة ؛ فأنا أغتفر ما فرط منه إلى ، ولكنى لا أعترف بأن له ديناً على

« وولداى الكبيران لم يحباني ولم يدلاني قط . كانا قليلا ما يعاملاني معاملة الولد للأم . لقد كنت لهما ما ينبئ أن أكون فى حياتى ، فاست مدينة لهما بشىء بعد مماتى

« إن علائق الدم لا تتوثق بغير المودة الدائمة اللازمة فى كل يوم ، وأما الولد المعقوق فهو أبعد من الغريب . وهو مجرم لأن الولد لا ينبئ له أن يستخف بأمه

« لقد كنت أمام الناس أضطرب خجلاً وأنفزع وجلاً من قوانينهم الباغية وعاداتهم الجافية وأحكامهم المعيبة ، ولكنى أمام الله لا أخشى شيئاً ولا أرهب

أحدا ؛ فأنا بعد أن مت أطرح عن نفسى هذا الخجل المنافق وأجرؤ على أن أصبح بفكرى وأجهر بسرائرى

« إذن أوصى بمالى الذى جعل لى القانون حق التصرف به لما شقى المحبوب (بيير جرميه سيمون دى بورنيقال) ليؤول من بعده إلى ولدى وولده رنيه وإني بين يدي الله رب العالمين وأحكم الحاكمين أعلن أنى كنت ألن السماء وأرجم الأرض لو لم يتح لى هذا الحبيب الصادق الخالص ، فأذوق من شفته الود المصفق والحب الموثق والحنان المطوف ؛ وأفهم بين ذراعيه أن الله خلق الناس ليجتمعوا على الحب ، وبأنلقوا على الصفاء ، ويتماونوا على الشدة ، وينضج بعضهم حشرات بعض بالعزاء والدمع

« إن ولدى الكبيرين أبوها السيد دى كورسيل ، وأنا ولدى رنيه فأبوه السيد دى بورنيقال ، وإنى أسأل الله رب البشر ومصرف القدر أن يضع الوالد والولد فوق ظنون الناس وأوهام المجتمع ، وأن يؤلف قلوبهما على الحب مدى الحياة ، وأن يعطفهما على وأنا فى القبر »

(ماتيلد دي كروا كسيلوس)

فلما فرغ المسجل من قراءة الوصية نهض السيد دى كورسيل وصاح : « هذه ولا ريب وصية امرأة مجنونة : » فتقدم السيد دى بورنيقال وقال بصوت قوى حامم :

« أنا — سيمون دى بورنيقال — أعلن أن هذه الوصية ليس فيها إلا الحق المبين والصدق المحض ، وأنا مستعد أن أثبت ما فيها بما تحت يدي من الرسائل »

عدد الرسالة الممتاز

سيصدر يوم الاثنين المقبل عدد الرسالة
الهجري الممتاز في ثمانين صفحة مديحاً بأفلام
أنطاب البيان وأعلام الفكر في مصر وسائر
الأقطار العربية ، وإليك بعض أسماهم مرتبة
على حروف الهجاء :

الدكتور إبراهيم بيومي مذكور

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

» إبراهيم مصطفى

الدكتور أبو الملا عفيفي

الأستاذ أحمد أمين

» أمين الخولي

» توفيق الحكيم

الدكتور حسن إبراهيم حسن

» شحت

الأستاذ عباس محمود العقاد

» عبد الرحمن صدقي

» عبد القادر المغربي

» عبد الحميد العبادي

الدكتور عبد الوهاب عزام

الأستاذ علي الطنطاوي

» فخري أبو السعود

» قدرى حافظ طوقان

» محمد أحمد النعراوى

» محمد سعيد العريان

» محمد عبد الله عنان

الدكتور محمد عوض محمد

الأستاذ محمد فريد أبو حديد

» محمود غنيم

حينئذ مشى السيد دى كورسبل الزوج إلى
السيد دى بورنيغال الحبيب ، فما شككت في أنهما
سيتقارنان . وقف أحدهما للآخر ؛ هذا ريبيل
وذلك هنزيل ، وكلاهما وافى الشيطان يتهور بالكلام
ويتسمر بالغضب . قال زوج أمى الحبيبا وهو يترغم
وريزجر :

« يالك من شقى شرير ! »

فرد عليه الآخر بالهجته وغلظته : « ستلاق
في غير هذا المكان ياسيدى . ولقد كنت أود قبل
اليوم أن أطمك وأحمدك ، لولا أنني آثرت سلام
هذه المرأة التي أشقبتها بخيانتك ، وعذبتها بقساوتك »
ثم التفت إلى وقال : « إنك ولدى ، فهل تريد
أن تتبعنى ؟ إننى لا أملك الحق الذى يساعدنى على
أخذك ، واسكنى أملكك إذا شئت فحنت موى »
فصاحته من غير أن أجيب ؛ ثم خرجنا معاً وأنا
أسوأ حالاً من الجنون

وبعد يومين قتل أبى زوج أمى في مبارزة ؛
فلزم أخواى الصمت انقاء لعار الفضيحة وسوء
السمعة ؛ ونزات لهما عن نصف ممتلكته أمى فقبلاه .
وسميت باسم أبى الحقيقى ، ورميت للقانون ذلك
الامم الذى نحلنى إياه وليس لى به صلة . ومنذ
خمس سنين توفى السيد دى بورنيغال فحزنت عليه
حزناً شديداً حتى لم أملك العزاء عن فقدته إلى اليوم

قال ذلك صديق الشاب ثم نهض فخطا إلى حتى
وقف بين يدى وقال : « هيه ! أليس من رأيك أن
وصية أمى هى أجمل وأنبل ما تستطيع امرأة أن
تعمله ؟ » فبسطت إليه يديّ الاثنين وأجبتة :
« بلى يا صديق ! ذلك شئ لا ريب فيه »

الزيات

الدكات

للاستاذ عبد الفتاح المازني



أقصوصة مصرية:

على ذلك فأقبلت على السيارة تريد أن تأخذ منها حقيبتها وقبعها وإذا بصوت يقول لها :
« اسمحي لي . . »

فالتفت مذعورة فما سمعت وقع قدميه وهو مقبل عليها ، ولا رأيته وإن كانت قد دارت بعينها في المكان ونفضته قبل أن تنوى الرجوع إلى « الكشك » . ولم يسألها الرجل شيئاً ولم ينظر إليها بل انطرح على الرمل بثيابه الأنيقة بعد أن ألقى طربوشه في السيارة وراح يحفر الرمل بيديه من خاف المجلة وفدامها . ولما فرغ من ذلك ووسع للمجلة نهض ومشى مطرقاً ينظر إلى الأرض كأنما يبحث عن شيء ، ثم انحنى وتناول حجراً كبيراً ولوحاً من « الصاج » وعاد بهما فوضع الحجر خلف المجلة وال لوح أمامها وتحتها ليكون دورانها عليه لا على الرمل ، ثم نهض مرة أخرى وقال :
« أظن هذا يكفي . . فلنجرب على كل حال »

فقلت : « أشكرك . . لا أدري ماذا كنت أصنع لو لم تجدني ؟ »

فأشار بيده وقال : « أجلي الشكر حتى أستحقه . . إن المجلة المسكينة لا تزال غائصة فلننقذها أولاً »

ومضى إلى آخر السيارة وقال : « أدري

وقفت « جليلة » حائرة لا تدري ماذا تصنع ، فقد انفرزت إحدى المجنتين الخلفيتين في الرمل وأبت أن تخرج منه وعجز المحرك عن جذبها ، بل كانت المجلة تزداد غوصاً كلما حاولت نزاعها ، وكانت الشمس قد مالت إلى المنيب ولم يبد أحد في الأفق ، وكان « الكشك » الذي وقفت عنده منذ لحظة تشرب « الكازوزة » يبعد مسافة كيلو ونصف أو اثنين ، فليتها ما جاوزته إلى هذا المكان القفر . . . ولكنها أرادت أن ترى الطائرة الشراعية من مكان قريب ، والأرض بعد « الكشك » غير ممهدة ، ولكن عناء السير فيها محتمل ولا خوف من النوص ، وقد طوفت من قبل في أرجاء هذا الفضاء الرحيب فهي تعرف صلابة الأرض ولا تخشى رخاوتها . غير أن الحظ خانها في هذه المرة فأكادت تقف بالسيارة وتنأى عنها قليلاً ثم ترجع حتى ألقت المجلة قد غاب نصفها في الرمال الخائنة ، وكان تلاميذ الطيران الشراعي يميدين عنها بعد « الكشك » ؛ فهل تترك السيارة وتعود أدراجها إلى الكشك لتلمس من صاحبه المعونة وتسأله أن يدعو إلى نجبتها بمض خفرائه ؟ لم يبق من هذا مفر على ما يظهر وإلا صار خطبها أدهى بعد الغروب . وصح عزمها

المحرك وسيرى بها وسأدفعها أنا من الخلف «
فعلت وخرجت السيارة ثم وقفت على مسافة
أمتار وزلت منها متهللة الوجه فصاح بها : « لماذا
وقفت ؟ . هل حدث شيء ؟ »
قالت : « لا ... إنما جئت لأشكرك ... »
ففرح يده ومد يدها إليها وقال : « آه صحيح .
صار الشكر الآن واجباً . أليس كذلك ؟ . »
فضحكت وسرها منه أنه لا يبدو عليه أنه
يريد شكراً وأنه كان ينتظر منها أن تمنحني عنه
بلا كلام
وقالت وهي تبسم له - في عينيها - :
« ألا تريد أن أشكرك ؟ »
فقال وهو ينفذ الرمل عن ثيابه : « كلا ...
إنه دين قديم أؤديه ... بمضه على الأقل »
ففاضت الابتسامة وقالت مستغربة : « دين ؟ .
لي أنا ؟ . ولكنى لا أذكر ... أنى أعرفك ...
لا مؤاخذه ! »
قال : « صديقي حين أقول لك إنه يسرني أن
أراك ناسبة ... إنها ذكرى خلية ألا تتبر في
نفسك إلا الامتماض والنفور بل المقت ...
فالحمد لله »
فدأت منه مقدار خطوة وقالت : « ولكن
أرجو أن تريبنى ... هل تعرفنى ؟ »
قال : « أعرفك ... أظن ذلك ... وإن كنت
لا أكتعك أنى نسيت اسمك ... انتظري (ورفع
كفه الكبيرة الغليظة الى جبينه) اسمك ياستى ...
غريب ! ! تبقى الصورة كل هذه الأعوام ويذهب
الاسم ... أوه جما ... جيد ... وجدته ! وجدته ! .
جيلة ... أليس كذلك ؟ »

فصاحت : « نعم . نعم . ولكنى آسفة لأنى
لا أذكرك أبداً ... لا صورتك ولا اسمك »
فقال بابتسام : « انهما جديران منك بالنسيان »
فألحت عليه أن يذكر اسمه فقال : « هذا اغز
سأترك لك حله وأنت عائدة »
فابتسمت وقالت : « ألا تخشى أن أشغل به
عن الطريق وما فيه فنحدث لى حادثة ؟ »
فقال : « صحيح . صحيح . إذن لم يبق مفر
من التضحية ... سأخسر ما صرت جديراً به من
الشكر وأسترد سخطك القديم »
فسألته وهي تضحك : « هل كنت فظيماً
إلى هذا الحد ؟ »
فقال : « ستمرفين مبلغ فظاعتى حين تعرفين
اسمى . . مراد البارونى »
فأطرقت وقالت على نهل : « مراد . . .
البارونى ؟ (وهزت رأسها) كلا . . إن ذا كرتى
لا يحتاج فيها شيء . . آسفة »
فقال وهو يضحك بدوره : « أما أنا فان
ذكراك يفسد لها بدنى فما أستطيع أن أنسى أنك
صببت على ملء قرتين من الماء فى الشتاء . .
سأطت على خرطوم الحديقة وأطاعت على ماء . .
أهذه ذكرى تنسى ؟ . . ألسنت معدوراً إذا ظلت
متذكراً . . ؟ »
فدأت منه وقالت بصوت خافت كالهمس :
« مراد ؟ . . صحيح ! ! »
فقال : « وكنت ظالمة لى . . »
فقالت : « كلا ... لقد تذكرت الآن ...
فقد وضعت لى دودة ميتة فى قفاى ... الحق أنك
كنت فظيماً »

المحرك وسيرى بها وسأدفعها أنا من الخلف «
فعلت وخرجت السيارة ثم وقفت على مسافة
أمتار وزلت منها متهللة الوجه فصاح بها : « لماذا
وقفت ؟ . هل حدث شيء ؟ »
قالت : « لا ... إنما جئت لأشكرك ... »
ففرح يده ومد يدها إليها وقال : « آه صحيح .
صار الشكر الآن واجباً . أليس كذلك ؟ . »
فضحكت وسرها منه أنه لا يبدو عليه أنه
يريد شكراً وأنه كان ينتظر منها أن تمنحني عنه
بلا كلام
وقالت وهي تبسم له - في عينيها - :
« ألا تريد أن أشكرك ؟ »
فقال وهو ينفذ الرمل عن ثيابه : « كلا ...
إنه دين قديم أؤديه ... بمضه على الأقل »
ففاضت الابتسامة وقالت مستغربة : « دين ؟ .
لي أنا ؟ . ولكنى لا أذكر ... أنى أعرفك ...
لا مؤاخذه ! »
قال : « صديقي حين أقول لك إنه يسرني أن
أراك ناسبة ... إنها ذكرى خلية ألا تتبر في
نفسك إلا الامتماض والنفور بل المقت ...
فالحمد لله »
فدأت منه مقدار خطوة وقالت : « ولكن
أرجو أن تريبنى ... هل تعرفنى ؟ »
قال : « أعرفك ... أظن ذلك ... وإن كنت
لا أكتعك أنى نسيت اسمك ... انتظري (ورفع
كفه الكبيرة الغليظة الى جبينه) اسمك ياستى ...
غريب ! ! تبقى الصورة كل هذه الأعوام ويذهب
الاسم ... أوه جما ... جيد ... وجدته ! وجدته ! .
جيلة ... أليس كذلك ؟ »

وجدت لى عملاً . . . فى تجارة رابحة والحمد لله . . .
وأنت ؟ . . .

قالت : « أوه . . . كبرت مثلك ... »

فقاطعها وقال : « كلا . . . إنك لم تتغيرى ...
لو كان هنا دود لما خطر لى وأنا أنظر إليك إلا أننا
ما زلنا طفلين ولهممت بأن أضع لك واحدة فى
قفاك »

فضحكت وقالت : « لقد صرت مهذباً جداً ...

لم يبق شئ من ذلك الطفل اللعين ... غريب ...
أعنى أن نلتقى هنا هكذا بعد كل هذه السنين ...
ماذا كنت تصنع ؟ . أعنى هنا »
قال : « أتعشى ... للرياضة »

فتنهت وقالت : « إذن لا أقل من أن أحملك
مى فى السيارة »

وقال وهو يركب معها مسروراً : « ما قولك ؟
نحتفل بهذا اللقاء الذى لم يكن لى ولا لك فى حساب
بالعشاء تناوله فى محل الحاتى . . . هه ؟ »

فابتسمت لنفسها فى مرآة السيارة وأصاحت
شمرها الذى عبث به النسيم ثم التفتت إليه وهزت
رأسها أن نعم ! ثم انطلقت تحطف بسيارتها الأرض

ولم يكن فى جلييلة خفة أو طيش ولكنها
كانت فتاة وحيدة مدالة ورثت عن أبيها شدة
القلب واستقلال الطبع ، وعن أمها سرعة الاجابة
إلى دواعى الخير . وقد مات أبوها قبل سنوات فلم
يبق لأمها سواها ولم تهمل تربيتها ولكنها كان
ينقصها حزم زوجها وحكمته ، فألقت لها حباها على
غاربها وهى تحسب أنها لا تمد وما كان يصنع أبوها .

فأشار بيده إشارة المستنكر : « لالا لالا ...
هذا كان سوء تفاهم . . . أعنى أنى كنت فرغت من
اللعب بالدودة وظننت أنك قد يسرك أن تأخذها
لتلعب بها ، ولكنى أخطأت فوضعتها لك فى
قفاك بدلاً من يدك ... بل كان الخطأ منك لا منى ،
فقد جعلت تجربين خائفة وأنا أجري وراءك فلم
يسمى إلا أن أتركها لك فى حيث تيسر لى ذلك
فألذنب لك يا جلييلة »

فقال جلييلة وهى تضحك : « أنذكر كيف
كنت تصيح بأعلى صوت كلما رأيتنى ؟ وكيف
كنت تجرى ورأى وتذبذب برجليك كلما أدر كنتى
تزيدنى رعباً ؟ »

فقال : « نعم أذكر ذلك ... أذكر كل شئ ...
إنه كل ما بقى لى منك ... لقد كنت أصبح وأدب
لأخفى عنك حبنى لك »

فقالت : « غريب ... أ كنت تحبى ؟ ...
لقد كان نجاحك تاماً إذن فى إخفاء هذا الحب »
ونظرت إلى وجهه الذى لوحته الشمس ،
وشمره الذى ظهر فيه الشيب هنا وهناك وأخذت
الصورة القديمة تسترد ألوانها وتبرز معالمها شيئاً
فشيئاً ثم قالت : « لقد كبرت جداً ... طويلاً
وعرضاً ... وتغيرت أيضاً ... من الذى يراك
الآن فيذكر بك ذلك الطفل الشق الذى كان يسود
عيشى ويرعبنى كلما ظهر لى فجأة من وراء شجرة ...
أو من تحت الأرض فيما كان يخيل لى ... ماذا
صنعت بنفسك كل هذه السنين ؟ »

فقال : « أوه ماذا يصنع الناس بنفوسهم ؟
يكبرون ويقومون على عمل يشتغلون به . . . أما أيضاً

الراسخان كالزمانتين الصغيرتين ، وتكاد من فرط البراعة في انسجام الثوب على الصدر ترى الحلمتين ترفعان الثوب ، وتبصر استدارة السرة وحسن اللحوق فيما حولها . وكانت مجدولة الساقين لا عظيمة المضلة ولا مضطربتها ولا عرقوب لها . وجمال الساق في المرأة بشير بحسن القوام . وكانت تكبره الأحذية العالية الكعوب نفوراً من بروز الفخذين . على أن هذا كله ما أكثر من يشاركنها فيه . ولو اقتصر الأمر على التكوين المادي لما كانت لها منزلة تنفرد بها ، ولكن أنوثتها كانت قوية الجذب شديدة الاغراء فلولا استقلالها وشخصيتها لما استطاعت أن تنجو من المعاطب

وقال مراد وهو عاكف على البيان الذي قدمه إليه الخادم : « معذرة فاني أتضور جوعاً ... لم آكل في سهارى شيئاً ... ماذا تريدن ؟ . كباب ؟ . لحم رأس ؟ . حمام ؟ . إني أرى الخافى عنده كل ما يؤكل ... لا الكباب وحده ... ما قولك ؟ »

فأثرت الكباب وقالت : « إن هذا فنه الذي يمتاز به فيحسن أن أقصر عليه »

وكانا جالسين في آخر القاعة ووجهها هي الى الباب ووجهه الى الناس . وشغلا برهة بالأكل وذكريات الطفولة فقال لها وهو يضطجع : « أذكركن يوم تحدثت أن تتساقى النخلة ... (فهزت رأسها) لقد كنت لا تطيقين التحدى ... فهل أنت ما زلت كذلك ؟ »

فوضعت الشوكة على الطبق ونظرت اليه وسألته : « ماذا تعنى ؟ »

قال بابتسام : « أعنى أن وراك ... بعد مائتين

على أن الفتاة لم يكن فيها سوء ولم تثمر الحرية شراً وإعماً أكدت استقلالها وأورثتها عمداً صريحاً على كل قيد من القيود التي يفرضها المرف حتى على الفتاة الحديثة . وكانت أمها وبعض أهلها يشق عليهم ذلك أحياناً فتقول لهم : إني لأفعل سوءاً ولا أسوء أدبى ولا أتوقع على أحد ولا قيمة لخروجه وحدي أو مرافقة أصحابي وصواحي إلى السينما أو غيرها لأنى أستطيع بسهولة وبلا عناء أن أحافظ على نفسي . فكانت أمها تسكت ولا تقول شيئاً لعلها أن الكلام لا خير فيه

ولم تكن جليلة بارة الحسن ولكن صوتها كانت له حلاوة التفريد ، وكانت نظرتها الحاملة تفعل فعلين بيدوان متناقضين - تمنش القلب وتغتر الجسم ، فاذا أدامت إليك كرة الطرف - على عادتها إذا سرها منك عمل أو قول - شاع الرضى في نفسك وفاضت بالسرور ودار رأسك وأحسست بالخدر في أعضائك . وكانت أقرب إلى القصر منها إلى الطول ، وإلى الامتلاء منها إلى النحافة والهزال ، وقد حمتها كثرة الحركة والولع بالشئ في الهواء الطلق وغطام النفس عن الآكال الدسمة الثقيلة أن تصبح كأنها أكداساً من اللحم تلج على روحها ؛ وكانت سمراء ولكن سمرتها مشربة حمرة لا كدرة فيها ولا غمش . وكان شعرها جمداً وأبيضاً وحفماً ، وكانت تفرقه وترسله إلى الوراء وتنعقسه وتأتي أن تقصه . وكانت أنيقة بلا تكلف ، ولم تكن رقيقة الحال أو مضطرة الى حسن التدبير والاقتصاد فقد ترك لها أبوها الحازم ثروة كافية ولكنها كانت تؤثر أن تصنع ثيابها بيديها فتجىء بمبوكة التفصيل على قدها الجميل يبرز من تحتها ثدياها الناهدان

اثنين ... رجائين أحدهما يحدق في ظهرك ...
لا يخالجنى شك في أنك تحسین وقع نظرتي على
جسمك ... انها نظرة حامية ... كاوية ... انتظري
قليلاً وسأدعو الخادم ليجيئنا بالقهوة فأدبرى وجهك
حين يقبل وانظري ... »

فعملت ثم اعتدت في جلستها وقد علا وجهها
الاصفرار، فأكب مراد على بقية الفاكهة وتشاغل
بها عما رأى في وجهها من دلائل التغير . ولم
تفت جائلة هذه الكياسة منه ووقع من نفسها
انفاؤه الفضول فلما سكت وضبطت صوتها وهي
تقول : « لقد تغيرت جداً ... من كان يظن أن
ذلك الطفل الخبيث الذي كان يتعقبني وينقص حياتي
يصبح هذا الرجل الوديع الظريف الكيس ؟
أتعرف من هذا يا مراد الذي يكونني بنظرانه ؟ ...
إنه خطيبي زكي ... أفهمت الآن ؟ »

فقال هدهو وبصوت مترن النبرات : « خطيبك ..
زكي ... هذه أخبار ... أظن أن من واجبي أن
أقدم لك التهنئات »

ولكنها أحست من نبرات صوته على الرغم من
أزائها أن هذا الخبر لم يسره فقالت : « لا داعي
للمعجب ... ثم إن الزواج مسألة عادية جداً على كل
حال ... أو كما يمكن أن تقول أنت ... هو شر
يصيب كل إنسان ... عاجلاً أو آجلاً ... متى
يصيبك يا مراد ؟ ... »

فقال : « أنا ؟ ... لا أدري ... صاحبك ...
أعني خطيبك لا يزال محملاً في ظهرك ... فهل
تستطيعين أن تهضي وتذهبي إليه وتقول له بكل
هدوء إن لك حقاً في أن تتناولى العشاء مع صديق
قديم مثلي وضع في طفولته دودة في ظهرك ، وصيبت

عليه عشرين قربة من الماء في الشتاء ؟؟ »
فقال ببساطة : « إنى أحب زكى ... وأنت
لا تعرفه ... بالطبع ليس في كونى معك هنا ما ينبغي
أن يسوءه ، ولكنه لا يعرف أنك هذا الصديق ؟
كل ما يعرفه أنه خطيبي ... وأنى - كما قال لي
مراراً - طائشة ... مندفة ... »

فقال مراد : « اشربي القهوة ... لا تفسدي
على نفسك الليلة ... ستشرحين له كل شيء ...
فيعود حملاً وديماً وبعثذر اليك من هذه النظرات
الحامية ... »

فشربت القهوة ولكنها كانت ساهمة ، فقد
كانت تحب « زكى » هذا وكانت تكره الاضطراب
الى الشرح وتستغفل أن تحتاج حتى الى ما يشبه
الاعتذار .

وقال مراد : « لقد قام الرجلان ... خطيبك
وصاحبه ... »

فقال : « يحسن أن تقوم إذن ... فسيودع
صاحبه ولا شك وبقف في انتظاري ... أشكرك
يا مراد ... نهيتني الى أنه خرج ... فلألحق به .
وخرجت . وودعها مراد بمد أن عرفت منه
عنوانه وعرف منها عنوانها وألح عليها أن تتصل به
إذا جد أمر من جراء لقائهما الليلة .

وقالت جائلة لزكى : « متى سيأتى فلا حاجة
الى تأكس » .

فدخل فيها واضطجع ثم قال : « من هذا
الرجل الذي كان معك ؟ »

فقصت عليه ما وقع لها عند المطار ؛ فقاطعتها
وقال : كيف تسكمين رجلاً غريباً ؟ ... إن هذا
كثير ... »

حمد - من أصل تركي أو شركسي - سبان -
 وكان بطمع أن يبلغ بماله الموروث حيث لم يستطع
 أن يبلغ بالكفاية الشخصية ، وكان أمه الذي
 لا ينفك يحلم به في البقطة والنسائم أن يصبح
 يوماً من أعضاء البرلمان ، ومن أجل هذا كان
 يتقرب الى الزعماء السياسيين بوسائل شتى ، وكان
 يعنيه جداً أن يحسن رأيهم فيه وظهرهم به ، وكان
 يحرص على المركز المأمول ويحيط نفسه سلفاً بكل
 مظاهر الآبهة والسمت والوقار وينظر الى الأمور كلها
 كأنه واقع ، وينتظر من الناس أن يعدوه كذلك ، بل
 أن يبالغوا ويروحوأ يعدون بصرفهم الى المستقبل وأن
 يخالوه كما يتخيل نفسه فيه وزيراً أو رئيس وزارة .
 وقال لجليلة وهو يودعها على باب بيتها : « أرجو
 يا جليلة ألا تعرضيني لسكلام الناس ، وإذا كرى أن
 لي مركزاً يجب أن أحافظ عليه » .
 فسحبت يدها من يده وقد آلمها كلامه وأحست
 أن سهماً وقع في قلبها . وكانت حساسة وذكية .
 ولم يكن يخفى عليها أن ليس له مركز سوى ما يفيد
 الغنى ، ولم تكن هي محتاج منه الى مال فإن مالها
 كثير . وكانت تدرك أن ما يسميه « مركزه »
 جانب ضعف فيه ولكنها تفض عن ذلك لحبها له ؛
 غير أنها لم تكن تتوقع أن يتهمها بأنها تسيء الى
 هذا المركز - وإن كان موهوماً - فضلاً عما
 تنطوى عليه عبارته من التعريض بها بما أن شرت
 له الأمر كله ولم تخف عنه شيئاً . وماذا تخفى وليس
 في الأمر ما يستدعي السكتان ؟

وقالت له وهي تهتم بالدخول : « أياك سميدة »
 فسألها : « متى نلتقي غداً ... »
 فأطرقت شيئاً ثم رفعت رأسها وألقت إليه

قالت : « ولكنه ليس غريباً ... لقد نشأنا
 معاً ... في حي واحد ... » .

فنفخ وقال : « ولكنك لم تكوني تعرفين أنه
 هو صديق طفولتك ... » .

فقالت بلهجة المستغرب : « هل كنت تريد
 أن أتقبل معونته ولا أشكره على الأقل ؟ ... » .

فترك هذا وقال : « ولماذا تخرجين الى هذا
 المكان وحدك ؟ »

قالت : لأنك مشغول عني بأعمالك الكثيرة
 التي لا تدع وقتاً لمرافقتي ... ومع ذلك أى بأس
 هناك ؟ » .

قال : « بأس ... بأس ... هذا الذي حدث
 لك من غوص المجلة أليس بأساً ؟ » .

قالت : « لا تكن متممناً ... إن السيارات
 يمكن أن يحصل لها أى شيء في أى مكان في الدنيا » .

فترك هذا أيضاً وقال : « ولكن تأنين معه
 الى الحاني ... ماذا يقول الناس ؟ » .

فقالت : « إذا كان الحاني مكاناً لا يليق أن
 يدخله الشريف ... » .

فقاطعها بسرعة وقال : « لست أقول هذا ...
 الأمر على العكس ... » .

قالت : « إذن انتهينا ... » .
 فسكت فما رأى حجة له تنهض . وساء ذلك

فقد كان شديد الاعتداد بنفسه ، وكان عظيم الطموح
 واسع الأمل في المنازل المحفوظة فلم يسره أن الفتاة

التي سيتزوجها تقرر حجته بأقوى منها ، وأحس
 أن في هذا انقصاً له وغضاً من مقامه وسقوطاً لهيبته

ولكن السكلام خانه فآثر السكوت على مضض .
 وكان زكي - أو إذا أردت اسمه كله زكي الدين

وحدها وأن تدور دورة في الهواء الطلق وتمشي قليلاً عسى أن ينفعها ذلك فيمضيها من الشمور بالانقباض والفتور . وإنها في بعض الطريق إذا بها ترى مراداً يمشي بسرعة كأنما يريد أن يدرك موعداً ، فوقفت وأشارت إليه وقد أحست أن جسمها قد صار أخف مما كان . فجاءها بمدو فسأته : إلى أين ؟ ... »

فلم يجب عن هذا السؤال ولم يلق إليها تحية بل ركب وهو يقول : « أرانا نلتقي في هذه الأيام ؟ حسن هذا ... أليس كذلك ؟ » . فأعدها ما في وجهه من البشر وقالت ضاحكة : « غريب هذا ... تمضي سنوات لا نلتقي فيها مرة واحدة وفي أربعة أيام نلتقي مرتين » ، فقال : « لا تغالطي يا فتاتي ... ليست هذه مصادفة » .

فنظرت إليه مستغربة وسأته : « ليست مصادفة ... ؟ »

فقال وعلى فيه ابتسامته الوضيئة التي لا تفارقه « كلا ... ليست مصادفة ... إنها إرادتي سلطتها عليك لجذبك إلى حيث أنا ... نعم » . فعاد إليها إشراق وجهها واطمأنت وقالت : « أوه ... آه ... إرادتك ؟ . طبعاً »

فقال : « لا تمزحي ... إني أنكلم جاداً » فرمت إليه نظرة سريعة فألفته لا يزال يبتسم فحوت وجهها إلى الطريق وقالت : « هذا بديع .. تكلم ... إن أذن لك »

قال : « نعم ... إرادتي ... لم أزل منذ عشر سنين أربي هذه الإرادة فهل تستغربين أنها بلغت من القوة هذا الشأو ! . بالطبع لا ... وأنت أول

ابتسامه ساخرة وقالت : « غداً ؟ لا ... إني على موعد مع مراد ... » .

ودخلت . وتركته وافقاً وفيه مفتوح . ولم يكن ثم موعد ولا شبهه ؛ وإنما قالت ما قالت مدفوعة إليه بضجرتها وألمها .

ولم تحاول أن تلتقي بمراد في اليوم التالي فقد كانت تدرك أن هذا لا يكون منها إلا خرقاً وحمافة فلزمت بيتها إلى المساء ثم خرجت في سيارتها على عادتها وجالت بها جولة قصيرة ثم ردت بعض الزيارات وعادت فلزمت غرفتها ، وكان الألم لا يزال يحز في نفسها فساء لومها واضطرب . وذهب يوم وجاء يوم ولكنها أحست ثقلاً في جسمها وفتوراً فبقيت في فراشها وأوصت أمها أن تمنع أن يزججها أحد - حتى ولا زكي - فشمرت الأم أن في الأمر شيئاً ، ولكنها حدثت نفسها أنه خلاف لا يلبث أن يزول . وجاء زكي يسأل عن خطيبته فمرفت الأم أنه لم يلقها منذ يومين ، فأظهرت تعجبها وزلت فقالت إنها كانت تحسب أنها لا تخرج إلا للقائه ، وزل زكي أيضاً فقال لها إن جائلة خفيفة وإن خفتها تسيء إلى مركزه ، وإنه كلما في ذلك فغضبت ولجت فيما نهاها عنه ، فهو يرجوها أن تكبجها قليلاً فما يليق أن تترك هكذا حبلاً على غاربها . وعرفت جائلة هذا الذي دار بين أمها وبين خطيبها فدهشت له ولكنها لم تغضب ولم تنر بل كان من الغريب أنها أحست كأنما وضع لها في مكان القلب قطعة من الثلج .

وجاء العصر فركبت سيارتها وخرجت بها إلى مصر الجديدة . وكان كل منهما أن تكون هي

نتمشى ... ودعى السيارة فان بخطفها أحد »
وقطعا مسافة وهما سامتان ثم وقف والتفت
إليها وقال : « اسمي يا جارية ... إني أعتمد على
ما تخوأي صداقتي القديمة من الحق في الصراحة ؛
عشرون قرية من الماء يحمل لي هذا الحق ... أريد
أن أقول إني تحاشيت في مقابلتنا الأولى أن
أكشفك بما أضمر لك من الحب كل هذه السنين
الطويلة ... لأنك قلت عرضاً إنك مخطوبة ...
ولكن وجه المسألة تغير اليوم بعد أن سمعت منك
ما قال هذا البغل »

فقاطعت ضاحكة : « اذكر أنه خطبني ...
لا يزال خطبني ... وأنى قلت لك إني أحبه »
فقال : « لم بعد هذا يعني ... استأحاول
أن أصرفك عنه ... كلا ... ولكنه لم يبق لي بد
من أن أقول لك إني أحبك ، وأنى أحبك مذ
كنت طفلة وكنت أعابك وأكيدك وأصرخ في
وجهك ... وكان هذا مظهر حبى الصبيان ...
أما الآن فان مظهره أنى مستعبد أن أذهب الى
خطيبك هذا وأخنقه بيدي هاتين ... »
فقلت ضاحكة : « لقد توهمت لحظة أنك
صرت أرق »

فقال : « كلا ... أما كما كنت ... واسمى
ولا نقاطى وإلا بحثت عن دودة ووضعتها لك في
قفاك ... إذا حدث يوماً أن صار الدكان للبحار
فأخبرني ... »

فقلت : « لغة التاجر أيضاً ... ولكنى
سأستعيرها منك ... أتق أنك مفضل عندي على
كل مستأجر لهذا الدكان إذا خلا يوماً من الأيام .
لم يكن يخطر لي أن هذا ما تنطوى عليه ... ومن

من ينبغي أن يكون من تلاميذى المؤمنين بي ...
من حوارى ... هه ... وسأفتح بك العهد
الجديد ... »

وبلغا آخر الطريق الى المطار من ورائه فجلسا
على سلم السيارة وأخرج مراد سيجارة وذهب
يدخن في سمته ، فلما طال ذلك التفت إليه وقالت :
« إنك لا تسألنى ما ذا حدث »

فلم يحول وجهه إليها وأدرك من كلامها أن
شيئاً لا بد أن يكون قد حدث ، ولم يشأ أن يتطفل
عليها بالسؤال فاكتمنى بأن يقول : « إن أذى لك ...
أعزناك السمع »

فقلت : « إنك قليل الفضول »
قال : « لأنى مشغول عنه بما فى نفسي ...
الدكان خاصة ... لا تحتل زيادة »
قلت : « لغة التاجر ... اسمع ... غضب
زكى ... أوه ... غضب جداً ... لم يقل شيئاً
كثيراً ... كل ما قاله أنى خفيفة طياشة وأنى
أسىء بسلوكى الى مراكزه »

فانتفض مراد واقفاً وقد نجهم وجهه ورى
السيجارة ثم التفت إليها وقال بلهجة صارمة :
« من يكون زكى هذا ... »

وكبح نفسه عن الاسترسال ورد لسانه بجهد ،
وضبط أعصابه وعاد الى مكانه من السلم والتفت إليها
وقال وقد وسمه أن يبتسم مرة أخرى : « معذرة
ليس لي حق ... قولى إنك صفحت عني »

فسرها منه أنه غضب لها وفارت نفسه
بالسخط على خطيئها من أجهالها فقالت له بركة
« أشكرك ... إننا صديقان قديمان ... »

فقال لها وهو ينهض مرة أخرى : « قولى

فتاة مثلها فكأنهم حبه وطواه في صدره ، وسأل الله الممونة على احتمال اليأس المحاصر ؛ وهو ظريف كيس لبق دائم البشر واسع الإدراك رحيب الأفق حلو الفكاهة . وزكى الفنى الذى لا يزال مهموماً بمركزه التخيل ، والذى لا يتقى في سبيل الحرص عليه أن يجرح قلب فتاة ، ويتهمها بالخفة والطيش في سلوكها ، وبأن سيرتها توشك أن تسيء الى مركزه الوهم هذا . وقد أحبته ... هذا صحيح . ولكن عينها فتحت فهي تراه الآن على حقيقته ، وليس يسعها إلا أن تفكر في حياتها معه كيف تكون إذا كان كل ما يباليه في الدنيا هو هذا المركز . . . ولكنها خطيئته وقد قبلت أن تكون زوجته ... فما العمل الآن ؟

وسألت نفسها ... أى الرجلين أحب إليها ؟ وحيرها الجواب ... فهل هذا الذى تشمر به لمراد حب ؟ - إن يكن هذا فهو هادى جداً ... أما زكى فإن الدكان كما قالت لمراد مرحومة ... صحيح أنها مرحومة بما لا قيمة له - كما ظهر الآن - ولكنها مرحومة ... فهل نخلو يوماً ؟ . هذه هي المسألة ... وإلى أن نخلو لا سبيل الى شيء ...

ولو أن زكى ذهب إليها في ذلك الوقت ولطفها وثأفها وضاحكها ومازحها واعتذر إليها ، ولو كانت هي في رأيه الخطئة ، لعادت المياه إلى مجاريها كما يقولون ولارتفعت قيمة ما في الدكان وارتدت إليه نفاسته ، ولكنه أراد أن يلقيها درساً فأعرض أياماً وجفاها وانقطع عن زيارتها ، ولم يكفه ذلك بل أرسل إليها خادمة تبلغها بحياته وتسالها باسمه عن صحتها ، وأوصاها أن تخاف مناسبة لتقول لها إن سيدها يكثر في هذه الأيام من زيارة بيت خالته

التي تتصور أن وضع الديدان في قفاها يكون علامة حب ؟ ولكنك كنت دائماً غريباً ... على كل حال ... المسألة المهمة أن الدكان مرحوم ... ليس خالياً ... خرجت أستبضع فامتلاً ... صحيح أنه امتلاً بأشياء لا قيمة لها ... ولكنى لم أكن أعرف أن ما غص به عديم القيمة ... المهم أنه ممتلئ ... وأظنك تدرك أنه مادام مملوءاً فلا مكان هناك الجديد ... يجب الصبر حتى أخليه مما فيه ... هذا يحتاج الى وقت ... ومن يدري ؟ ربما كان الاخلاء أصعب من اللئ ... ولكنك تفهم وتقدر فقال ببساطة وهذوء : « لا بأس .. لا بأس .. إن دكاني أيضاً مرحوم ... ولكنه مرحوم بالنفيس الغالى ... واست أريد أن أخليه ... لا أستطيع أن أخليه حتى لو أردت ... وهيهات أن أريد أو أستطيع ... إنه مكتظ منذ خمس عشرة سنة . وسيظل مكتظاً طول العمر ... وقد عرفت أن مفتاحه معك ... في يدك ... فادخل حينما تشائين وعسى أن تشأى ... عدينى أن تحتلى مكانك من الدكان بعد أن تفرغى من أمر دكانك ... وفي أثناء ذلك نبقى كما كنا دائماً ... صديقين جيمين »

ولم يسع جليلة إلا أن تفكر في أمر الرجلين : مراد الرجل الذى تعرفه منذ الطفولة والذى كان يسود عيشها بعمقه لأن هذا كان تعبيره الخاص عن حبه لها ، وقد ظل بعد ذلك يحبها ، ولكنه أحجم عن طلب يدها لرفق حاله بالقياس إليها ، وقد صار تاجراً ، ولكنه لم يثر لأنه لا يربح إلا الكفاية ، ومن هنا إحجامه الى الآن عن خطوبتها كما حدثها ؛ وقد زاد على ذلك أنه كان لا يتصور أن ترضى به

به سنين وسنين .. وتمجبت لسرعة استيلاء مراد على هواها فما لقيته إلا مرتين بعد طول الانقطاع والغيبه . فهل هذا هو الحب الذي يقال عنه إنه يكون من أول نظرة ؟ .. أم تراها كانت تحبه منذ عرفته وهي لا تدري ، وكان حبها له رافداً كامناً ينتظر فرصة للظهور ! لاشك أنها كانت تحبه . كذلك قالت لنفسها وهي راكدة على سريرها بعد الغداء . نعم كان يقسو عليها ويركها بالزاح المتعب ، وكان يحتجب لها وراء الأشجار ثم يفاجئها بصرخة ترعها فيضحك ويقهقه . وكان يجري وراءها حتى تنقطع أنفاسها وتقع من الأعياء .. فيحملها ولكنه لا يرحمها ولا يترفق بها بل يروح يقرصها ويعضها فتصرخ وتصيح وهو يضحك ولا يبالي ... ولم تستطع أن تنتقم منه إلا مرة واحدة حين أرسلت عليه خرطوم الماء فأغرقتة فجعل ينتفض من البرد ، ولكنه كان يضحك مع ذلك ولم يسخط عليها ولم ينطق بكلمة تشي بالألم أو النعمة أو الغضب ، بل احتمل ذلك . ولما راق له قلبها وأقبلت عليه بالاعتذار إليه وطالب الصفح منه لم ينس دمايته وعبثه ، ونبحها كما يفعل الكلب « وَوْ .. وَوْ » ففزعت فما كانت تتوقع شيئاً من ذلك ، ومضت عنه مغيفة محنقة معتقدة أنه شر صبي في الحارة ؟ وكان هو يقهقه وينطوى من شدة الضحك غير عابىء بالماء والبرد ، فيا لله ما أقواه .. ومع ذلك كانت لا تلعب إلا معه ، وإذا أقبل عليها غيره من الصبية نفرت ... نعم لاشك أنها كانت تؤثره ... ولماذا لا تقول إنها كانت تحبه ؟ صحيح أنها لم تكن تعرف ما الحب ولكنها تعرف الآن فقد صارت خبيرة مجربة فلماذا لا تسمى الشيء باسمه الصحيح ؟

— وكانت لها بنت في مثل سن جليله — ايثير غيرتها وإشفاقها من أن يطير المصفور من يدها فأفلح والكن في استئثاره نغمتها عليه ، فقالت لنفسها إن رجلاً يهينها ويعرض بها ويرميها بأن سلوكها من شأنه أن يسيء إلى سمعتها وأن يضر بمركره ، ثم لا يحمل هذا بينه وبينها بل يفضي به إلى أمها ، ثم لا يكفيه هذا بل يجفوها ، ثم يترقى في تمعد الاساءة إليها فيرسل إليها خادمة تبلغها أنه انصرف عنها إلى سواها — مثل هذا الرجل خير له ولها أن يثبت ما بينهما ..

على أنها لم تتمجج وإن كان عزمها قد صح على الفراق فقد كانت شديدة الثقة بنفسها والاعتداد باستقلالها وإرادتها الحرة ، فلم تر ما يدعو إلى المجلة بعد أن انتوت أن تفهم العروة واستوى عندها أن يكون ذلك يوم انتهت إلى هذا العزم وأن يكون بعده بأيام أو أسابيع ، فقد كانت واثقة أنه ما من شيء يستطيع أن يحولها عنه . وصار عجبها أن الدكان خلا بسرعة مما كان ينص به . ولم تكن تلقى في تلك الأيام مراداً لأنها أرادت أن تختبر نفسها وتجسها لتعرف ما تنطوى عليه له ، فأدهشها أنها تحس وحشة وأنها تشتت أن تكون معه وأن تستعيد ما تشمر به في مجاسه من سكينه النفس واطمئنان القلب والرضى الهادي . وزاد شوقها إليه أنها كتبت الامر كله عن أمها فلم يكن هناك من تبثه ما في نفسها ، ولو كان مراد إلى جانبها لكان خليفاً أن يفهم ويعطف وأن يسرى عنها بفكاهته التي لا تحونه ، وأن يعيدها بقوة التي تجمله لابنسي أن يضحك وهو يجمع في أمه الذي عاش

فامتقع لونه واسكنته تجلده وقال : « متى إن شاء الله ؟ لست أطمع أن أدعى ولكنى أريد أن أحترف بليلة الجلوة وبسرورك فيها . وحدى »
فسأله بنجث : « وحدك ؟ »

فقال : « نعم . إن يكون مئى سوى خواطرى »
وأدار وجهه إلى الباب ليخفى زفرة يملو بها صدره ثم التفت إليها وقال : « متى يكون هذا ؟ »
فرفعت إليه وجهاً مشرقاً ونظرت إليه نظرتها الحاملة وقالت : « متى تريد أن يكون ؟ »
فقطب وقال : « إيه . ؟ »

فأعادت سؤالها : « متى تريد أن يكون ؟ »
فحدق فى وجهها - فى عينيها - ثم صاح وقد قطن إلى ما تمنى وانحنى عليها فرفمها بيديه عن الكرسي غير عابىء بالمال والزبان وأهوى على فمها باللمات ثم ردها إلى الكرسي وصاح بأحد رجاله :
« إذهب . إذهب . حالا . حالا »

فوقف الرجل كالأبله لا يفهم ، ولا يدري أين يريد منه أن يذهب فصاح به :
« هات المأذون .. ألا تعرف المأذون يا أبله ؟ »
إذهب .. حالا .. »

فوقفت جليلة وأقبلت عليه تسأله : « ماذا تعنى ؟ .. ماذا تريد أن تصنع ؟ »

فقال : « ماذا أعنى ؟ .. ياله من سؤال ! .. نعتقد المقدس .. هنا .. حالا .. فى الدكان .. هذا ما أعنى .. رجالى وزبائنى شهودى .. شهود سعادتى لقد كان التجار فى الزمن السالف يجيئون رجال يقفون على أبواب الدكاكين ويدعون للسارة أن يدخلوا ويرينون لهم البضاعة .. وقد انقضى ذلك الزمن وحلت الاعلانات فى الصحف محل هؤلاء

وارتدت من الماضى إلى الحاضر وذكرت كيف غاصت مجلتيها فى الرمل ووقفت حائرة وإذا به يظهر كأنما شق الأرض وخرج منها - كما كان يفعل وهو صبي - وينطرح على الأرض بلا كلام أو سؤال ولا يبالي ما يصيب ثيابه ، ويجرف الرمل بيديه الكبيرتين ويحمل الحجارة ؟ بفعل كل ذلك ولا يرفع عينه إلى .. ثم يعرفنى فيتألف فى تذكري بنفسه . ويتظاهر بنسيان اسمى وهو منقوش محفور فى قلبه .. وتنازعه نفسه أن يقضى إلى بحبه فيشير إليه من بعيد فى معرض الكلام على ذكريات الحداثة . ويعرف أنى مخطوبة فيفقد كل أمل ولكنه يتجلده ويتكاف الابتسام ويمضى فى مؤانستى بمحبتته كأنما لم ينهد كيانه ولم يتقوض بنيانه . وهل أنسى كيف تار وانتفض حين رويت له ما أهاننى به زكى . ؟ لقد كانت وثبته تلك حسبي دليلاً على عمق ما يجن لى من الحب . ومع ذلك أثبت له الكياسة والأدب إلا أن يكبح نفسه ويردها عن النيل من زكى مخافة أن أكره ذلك منه ..

وظلت تناجى نفسها على هذا النحو ولا تكتحل عينها بنغمض حتى كان العصر فقامت ولبست ثياب الخروج واستقلت سيارتها الصغيرة إلى دكان مراد فأقبل عليها يرحب بها فقالت له :

« أنت أولى من الغريب »

فابتسم وقال : « آه .. أهو ذاك ؟ »

قالت : « نعم . أريد شيئاً من الحرير .. قطعاً كثيرة . ألوانها شتى . الوقت ضيق . »
فقال : « الوقت ! لست فاهماً شيئاً . »

قالت : « ألا تعرف أن المروس يحتاج إلى ثياب كثيرة ؟ »

الطيارة ، فإذا يمنع أن تزوج في الدكان ، فقالت إنه فرق ساعة ، والمسافة إلى البيت لا تستغرق زمناً ، فأبى أيضاً ، وقال إنه يخاف عليها أن تطير وتتسرب في الهواء كلا . . . لا بد أن يكون المقد هنا

وراقها هذا الجنون وأرهف خيالها فرضيت وتزوجا في دكان

وقالت له وهما خارجان : « نسيت أن أقول لك إنني وجدت أن الدكان لم يكن خالياً قط . . . كان مافيه مخزونا من أيام الصبي ، فلما أدت عيني فيه عرفت ولهذا جئت »

فقباهما على باب الدكان

ولم يستح الرجل !

إبراهيم عبد القادر المازني

المنادين والكنى اليوم سأقف بالباب وأدعو الناس . . كل الناس أن يدخلوا لا يشتروا بل ايشاركوني في سمادتي . . لماذا لم يجيء المأذون . . إذهب أنت وراءه واستمعه »

و فرحت جليلة بهذا الجنون وحجبت أيضاً — أفرحها أن عقله استطاع من فرط الجذل ، وأخجلها أن كل هؤلاء الناس من العمال والزبائن برونها ، وأن عيونهم جميعاً عليها ، وأنهم يفحصونها ليعرفوا سر هذا السحر الذي ذهب باب الرجل الذي ألغوا منه الرزائة والسكينة والظرف والعقل . . ولم تكن تقدر أن يفعل ذلك وأرادت أن تستمعه فأبى ، فافترحت أن يذهب بالمأذون إلى البيت فأبى أيضاً ، وقال إن ناساً في هذا الزمان يتزوجون في

بنك مصر

يا عدمكم على الادخار من أقرب وأضمن الوجوه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التخفيض المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمركز البنك الرئيسي

بالقاهرة . وفروعه بالأقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون

غرام الشعراء

اقصصة فرنسية

تصبت الشاعرة محاسن الأميرة فأحبها
روح شاعريته القدسية ؛ ورأت الأميرة فيه
ما بهر غرورها فاستسلمت لفرامه ، وتراجع
سائر العشاق بذلة الانكسار أمام الشاعر الترى
الجميل ، وكان اسمه سعيداً^(١) وله صديق اسمه
جميل فكتب سعيد إلى جميل يقول :

« لقد رضيت بى زوجاً ، فما أسعدنى بهواها !
وإننى لأشك أحياناً فى سمادى فأحببى وأهمل .
وهل لمثل هذه الآلهة أن تحب رجلاً يموت ؟
ولكننى أعود إلى رشدى فأسال نفسى عما دفعها
إلى النسائم بقبولى زوجها لها إذا كانت لا تحببى
لا أراى مضطراً إلى أن أقول لك ، وأنت الصديق
الوفى العارف بما فى سريرتى ، إنه لا مطمع لى فى
الحياة الا امتلاك قلب امرأة بكل ما فى كفة الامتلاك
من معنى السيادة المطلقة ، تبرع فى قلب لا وهن فيه
ولا شرك ولا ضلال . أريد روحاً أبداها روحى
وحياة واحدة فى جسدين . ذلك حلم الخلود أطمح
إلى تحقيقه على هذه الأرض الغائبة . إن الله لم
يخلق الجمال عبثاً ، فانه وضع فى إهاب الأميرة المنير
للنيران قلباً يحترق هو نفسه بها . إننى أشكر الله
لأنه أنالنى ما اشتيت »

وورد الجواب بهذه السكامة :

« احذر ، فانك شاعر »

وكانت حفلة زفاف جلالتها روعة الجمال ولدت
فيها بروق المال
اهتزت المدينة لهتاف الفرح ، وسار العروسان
تحف بهما الأبحاد وبوا كهما المر على طريق
السعادة والهناء

كانت فتاة أسمدها الحظ وأسمدها الجمال ،
ولدت من أبوين أحدهما الثروة وتانىها الجمال ،
فكان الله أوجددها فتنة للعالمين ، تلمب بألباب
الشعراء تارة ، وتارة تلمب بقلوب الطامعين
وكان اسمها مشتقاً من مصدر النصر فدعاها
الناس بالأميرة لأنها حكمت بإلهين إله الجمال
وإله المال

انتصبت للناس صنما يعبد الماقل والجاهل ،
رجل العواطف ورجل الأطماع ، فترنحت أعطافها
من سكرة الدلال ، وأصبحت تطالع المأ من على
فنتصفر كل الماشقين

إن رجلاً يسعد الحظ بامتلاك قلب الأميرة
ليتسنى فيه عرشين ويمتلك به سعادتين
مرت السنون والأميرة تحسب الدمع خلقة
فى ما فى الناظرين إليها ؛ ولولا قوة فى السكون
تسخر المال والجمال لكان قد قضى على الأميرة أن
تفادر الدنيا بوحداية جمالها لا تشرك به أحداً من
الناس ، وما تلك القوة إلا الحافز الطبيعى لا يتمرد
عليه إلا المتظاهرون بتذليله وهم فى ادعائهم كاذبون
وكان فى المدينة شاب ولد كما ولدت الأميرة
من مصدرى المال والجمال ، غير أن إلهه الشمر
كان قد نفخ فى روح الجنين خلسة فجاء الطفل
يحمل إلى الدنيا جذوة الالهام

(١) ترجمت الأسماء بما يقابلها فى العربية

خلدى ، وعرفت ما أحب وما أكره ، فأمرنى
مثال أحلى

ما أنسى قلب الشاعر : بل ما أبعد هيام
الشعراء عن أهواء الناس : إن في بعض النفوس
المشتتة يلهم الأبد غراماً يستنزل العاطفة من عالم
التجرد ، وما وجدت هذه النفوس في الأرض
إلا لتشق ، لأنها تطلب كوتر السماء من كؤوس
التراب : تريد حياة من الموت ، وتجرداً من المركب
المنحفل .

وكان الشاعر يجثو أمام أميرة مداعباً أوتار
قيثاره فيستنطقها أجل الأنعام ، ولكن الأميرة
كانت ترفع يدها إلى جبينها وتشكو الصداغ ؛
كان يأخذ الشاعر أروع القصائد ويتلوها على
مسمع أميرة فلا تلبث أن تحول الحديث إلى بحث
أنواع الطعام وما يصعب هضمه منها

كان يبدأ حديثه معها قائلاً : أفلا ترين
يا حياة الفؤاد أن ... فتقاطعه شاكية حرارة الجو
وطفق اليأس راود تجلد الشاعر

وتقدمت الأميرة يوماً إلى عابدها قائلة : يا سيدي
العزير

فانتفض الشاعر وقال في نفسه : لقد جاءت
تبادلني حياً بحب ، وقلبا بقباب

فقال : ليس جمال الحياة في ...
فتقاطعه وقالت : في الأعياد والراقص واستقبل

الأصدقاء . أما حان الزمن للقيام بما يوجب مقامنا
الاجتماعي ؟ إنك ستدعو قريباً أهل المدينة لوليمة
كبرى بمقها الرقص إلى الصباح ، أليس هذا
ما تريد يا سيدي ؟

نحت أعصان الربيع أمام الطبيعة الموشاة بجلالها
السندسية كان سميد يناجي عروسه بروح شاعر ،
وإذا قال لها : ألا تسمعين حفيف أجنحة السمادة
حوالنا ، تهديت فهذا عميقاً حسب الشاعر صدى
لغبرات إلهامه

وقضى العروسان شهر المسلى في قصر من
قصور الريف ؛ وما مرت أيام بملء حتى أخذت
الأميرة تشعر بالضجر في هذه الحياة الهادئة .
فأصبحت تنمب من السير في ظلال الأشجار ،
وتحاذر الجلوس على المروج الزهرة خشية أن تنالها
رطوبة من الأرض أو افحة من الهواء

وكان أمير الشعر يدعو أميرة الجمال لترافقه إلى
ممشى القصر القديم حيث يعرض جمالها الرائع على
البدر المتطلع من بين الأزاهر الراقصة على أغصانها ،
ولكن الأميرة كانت تعلم أنها تخاف افئات البدر
وهو الماشق الأبدى يافح الجياه بنظراته فيورثها
الصداغ

وعجزت حيلة سميد عن إبداع ما يعيد الابتسام
للجمال العابس ، فقرر العودة إلى المدينة

وقال الشاعر في نفسه : لقد يكون قصر الريف
قد أثر رياشه البسيط على روح لآهتي فلأفودنها
إلى قصر أجدادي حيث الزخارف الرائعة والرياش
الفخم ، ولا فرق إذا سكن ملاك الجمال كوخاً في
الحقول أو قصرآ في المدينة ؛ وإن يتمكن صخب
المجتمع من إفلاق راحتنا وهي تجد في الدنيا ، وأنا
أجد فيها الحياة

وتفقدت الأميرة غرف القصر وقاعاته وعلى
شفقتها ابتسامة الرضى ، فهتف الشاعر لها وناجي
آلهة إلهامه قائلاً : لقد فهمت أميرتى ما يدور في

وكانت الشمس تودع الأرض وقد شجب وجهها
المحترق . خرج الخدم وتقدموا إلى العربية فوجدوا
فيها مولاهم مضرجاً بدمه ، وفي صدره خنجر وبين
أصابعه ورقة خط عليها : « ايرحمي الله ، فإسألي
الجانية على »

وانظروا حث الأميرة على جثة زوجها وقد ربيت
لهذا الشهيد الهائل ؛ وعند ما ألصقت شفرتها بجبينه
البارد كانت تنأجى نفسها قائلة :

للزهرة أن تنور في الروض مكتومة الأريج ،
فإنها إن لم تحي الصدور لا توقف نبضان القلوب ؛
أما المرأة الجامدة الغرورة التي حرمت نفحة الحب
فهي بليّة على نفسها وخطر على الناس . امن الله
يوماً جئت فيه الحياة بما لا يجدي ، وأنا محرومة
من روح الحياة . إذا ما تلاتني الحب في قلب المرأة
فإنه ليستحيل إلى "سم" زعاف يسرى في عروق كل
من يمد لها يداً . وبل لعاشق الزهرة البشرية التي
لا عطر فيها

ومر جميل على قبر سعيد ليملكه قرأى قرب
اللحد زهرة نبقت بين حجرتين حمراء ناضرة تمايل
مع النسيم . جثا الصديق الوفي وصلى فارتفع عبير
الاخلاص من روحه ، وبقيت الزهرة كأنمة أريجها
وهي شاحبة برأسها تباهى بجملها

وجأت بين أحفان الصديق الوفي دمة محرقة
فقال :

اعلم المرأة التي لا تحب قد استجالت إلى زهرة
لا تجود بالمعير على قبر الشاعر ، ليكون هذا القبر
كمن نوى فيه مكلاً بحب الجلال محروماً من
جمال الحب

وسقطت صاعقة السادة على رأس ابن الشعر
فأنحني منكسراً وفي عينيه دموع وفي قلبه نار
وكتب سعيد إلى جميل يقول :

« ليس بين الناس من يفوق شقاؤه شقائي ،
إن أميرتي لا تفهمني »

انقد لاحت على وجهها ليلة المرقص بوادر
انبساط وسعادة ما رأيت عليه مثلاً ليلة زفافنا .
عرفت طبيمة هذه الأميرة ، فهي عاشقة صاف
وغرور ، فيها كبرياء وليس فيها عظمة ، في صدرها
أطماع وليس فيه قلب

تقدمت إليها وهي سكري بانتصار جمالها فقات
لها همساً : أنت ياسيدي زهرة بلا عطر . أنت
امرأة بلا قلب ، وقلب بلا غرام

فلم تفارق الانسامة شفيتها ، فكانتني لم أقل
لها ما قلت . ثم تنازات وحدثت فيّ قائلة : صدقت ،
أيها السيد ، أنا الزهرة التي تسلب الطبيعة روعة
جمالها ، وتنشق من الفشر أريجها دون أن تجود
بمطارها على أحد ...

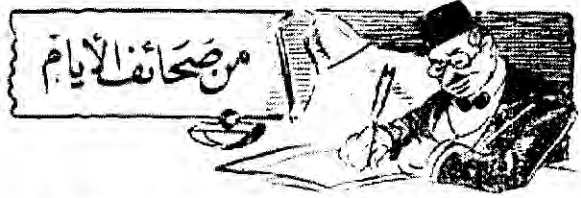
ومرت أماًى ورأسها بشمع كبرياء وتوارت
بين الراقصين كأنها القمر الضاحك بين النجوم ،
ولكنني أذكر أنها زودتني بنظرة حسيرة لم أتمكن
من إدراك مغزاها

اذرف ممي دمة على نفسي ، فأنا أتمس الناس
وورد جواب الصديق هكذا :

« تذكر ما قلت لك ، فقد تأيد حكمتي »

ووقفت أمام قصر الشاعر عربية تجللها رهبة
الموت

نزل السائق عن مقعده وضرب باب القصر ،



يَوْمِيَّانَا فِي الْإِثْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

(تابع)

١٥ أكتوبر ١٩٥٠

الثغاة حانت منى إلى المساندة والورق الطاروح عليها في انتظار اللاعبين . ففهمت للفور وتذكرت ما قيل لي من أن الأمور لم يعرف الخسارة قط في هذا النادي ، وأنه اعتاد في أوائل كل شهر أن يريح كل مرتبات الموظفين ثم يظل طول الشهر يقرضهم ما يحتاجون إليه الأكل والملابس حتى لا يموتوا جوعاً إلى أن يقبضوا ، قبلا عنهم من جديد وبأخذ مرتباتهم الجديدة وقرضهم ما يعيشون به طول الشهر ، وهكذا دواليك . وقد اعتادوا هذه الحياة ورضوا بها ، وهم يمزون أنفسهم بقولهم : « سواء أكانت النقود في جيبنا أم في جيب حضرة المأمور فالنتيجة واحدة . » شئ واحد بقائهم وبخيفهم أشد الخوف ، هو خروج المأمور بأموال البلدة « للملاعبة » مركز آخر . فالمأمور بضجر أحياناً من ملاعبة هؤلاء الفلاسين وقد تجردوا ، فينتخب تارة نفرأ من خيرة اللاعبين وينتقلون لمنازلة المركز المجاور كما تنتقل فرق كرة القدم . . . وتارة يخفف المأمور بمفرده أو مع المعاون ، إلى

لم يملك المأمور عندي طويلاً ، فقد ذهب سريعاً ، وانقطعت عني أخباره ؛ وطالبته كثيراً بالتليفون في المركز فلم يدر أحد أين مقره . كل ما عرفوه عنه أنه خرج في « البوكس فور » مع المعاون ولم يعد ، وانظرته طول نهاري لأعرف منه . . . ولكن النهار انقضى وغربت الشمس وعيل صبري ، فشيت بنفسي إلى المركز فلم أفر بطائل ؛ وقال لي قائل : امه عرج على النادي فهذا ميماد جلوسه فيه . فارتددت ، وتوجهت إلى النادي فاستقبلني أعضاؤه دهشين أول الأمر ، ثم هرعوا يقدمون إلى الكرسي « السليم » الوحيد في تلك الحجرة زيادة في الاحتفال بي . فسألت عن المأمور فقالوا إنهم لم يروه وأنهم يعجبون لغيابه عن النادي حتى هذه الساعة . فلما علموا منى أنه خرج من الصباح مع المعاون في « البوكس » ولم يعد صاحوا جميعاً ، من فم واحد :

— لا حول ولا قوة إلا بالله !

وصاح صوت من بينهم :

— ضمنا وضاعت فلسنا والموض على الله !
ولم أفطن إلى مرادهم في مبدأ أمرى ، ولكن

أقرب بلدة يلعب «دورين» ويرجع ، ونارة يستقبلون في ناديتهم «منتخباً» قادمًا من بلاد أخرى . هنا في مثل هذه المقارعات الحامية الوطيس بين بلدة وبلدة يتعرض للخطر جيب المأمور أعني مرتبات المركز . . .

على أنى لم ألبث أن أدخلت الاطمانان على قلوبهم بقولى لهم إن المأمور قد ذهب في غالب الظن لعمل يتعلق بقضية تشغل بالنا . فهدأوا وجلسوا لحظة ساكتين أدبًا واحتشامًا ، ثم أخذوا يتحدثون ويترثرون قليلًا أثناء شرب القهوة ، إلى أن قال أحدهم في نبرة الترحيب :

— ربنا عوضنا خير بتشريف البك النايب ، لأن حضرة القاضى انقطع عن النادى من زمن . . . بسبب سوء التفاهم . . . فنظرت إلى المشكك وقد بدا في عيني التسائلة مادعاء إلى الاسترسال :

— أى نعم ، سوء التفاهم بينه وبين البك المأمور

وأضمن في الثثرة فقال :

— المسألة أصلا خلاف بين السيدات مع بعض . الست حرم القاضى واقمة مع الست حرم المأمور

فأطرقت صامتًا ، وظن الحاضرون أن بي رغبة إلى الاسماء . . فانطلق أحدهم يقول :

— آخر أخبار أنهم طلوعوا لبعض فوق الأسطح ونزلوا في بعض «روح» من النوع «التظيف» ، امرأة المأمور لإغاظة في صاحبها راحت لبست سترة زوجها الرسمية بالتاج «والضبورة» وغطت رأسها من غير مؤاخذه «بالطرحة أم ترتر» وقالت لها بالصوت العالى : «أنتم حوالىكم إلا قلة القيمة لا يعمشى وراكم إلا حاجب «ربايكيا» نص عمر

مكسر صابغ شعره . سكن المركز كله بالخفر والمسكر تحت أمرنا ، بضرب لنا سلام . قامت امرأة القاضى ونزلت فلبست لها الوسام الأحمر عمدة الحكومة فوق الفستان البمبي المسخوخ وطامت تقول لها : «قطع اسانك وابنه سفينة ! أنتم جميع ما لكم إمارة إلا على خفيرين مغفلين ، لكن من في البلد كلها بقدر يحبس ويشنق ويقول : حكمت المحكمة غيرنا ؟»

ولقد أحسست شيئًا من الحرج في استماعى إلى هذا الكلام ، فما إن فرغت من شرب القهوة حتى وضعت الفينجان على المائدة في هدوء ونهضت في الحال مسلماً مودعاً وانصرفت

سرت في الطريق إلى منزلى أفسكر . ولقد تمهلت في خطاى ، إذ لم أجد في نفسى رغبة إلى الاحتباس بين جدران أربعة مع أكدا من الشكاوى المتأخرة أضع أنفى في تراب ملفاتها . وإن رأيت بعد لشغول بغياب المأمور ، أتراه قد وجدها . . أين ذهب بها إذن ؟ والشيوخ عصفور ماذا جرى له ؟ العجيب في الأمر أن يستطيع هذا العصفور أن يختطف هذه الزينة ونحن عنه غافلون ! الحقيقة أننا لم نظن إليه . لقد استطاع أن يختطفها من يد المأمور في خفة ومهارة . نعم ، من يد حضرة المأمور لا من يدى أنا . ولكن الأعجب من هذا أن تظلم الفتاة وتذهب معه راضية . فهو من غير شك لم يكرهها ولم يحملها قوة واقتدارا . ما سر هذا التأثير وهذا النفوذ العجيب وهو لا يكاد يعرفها ولم يكن بينهما لقاء طويل ؟ أتراه قد أغراها بالهرب ؟ ولكن ما الذى يدهوها إلى الهرب ؟ أمى مجرمة ؟ أهذا الجمال الرائع يجرم ! أم نحن المجرمون إذ نظن السوء بالجمال ! إن من العسير على نفسى أن أتصور

أو أنه على الأقل قد اطلع على سر الفتاة وغاص بعينه البرافتين في بحار نفوسها العميقة المظلمة . ولكن هل يفهم هذا الشيخ الينا بشيء ؟ إنه هو نفسه سر مغلق ، ولست أدري أهو حقاً أبله أم خالف هذا الوجه الساذج ...؟؟ وكنت قد بلغت المركز . ورأيت بياض « البوكس فورد » فعلمت أن المأمور قد عاد ، فأسرعت واقتحمت عليه حجرته فألقيته ملقى على « السكينة » وقد خلع طربوشه وأمسك القلة الفخار بجرع منها والعرق يتصبب من جبينه فلم يكذبني حتى صاح :

— المسألة وحياتك فيها شغل سحر : لا بد أن الشيخ الكاب سحر البنات . تصور أننا من الصبح لغاية ساعة تاربخه ما تركنا في دائرة المركز غيط ذرة ولا زراعة قصب ولا ساقية ولا طاحونة ولا كفر ولا دوار ولا ترعة ولا أرض ولا سما ولا طريق ذراعى ولا جهنم حرا إلا قلوبنا وقتشناها شبر شبر . لو كانوا انقلبوا طير على الشجر أو سمك في البحر كنا وجدناهم . لكن المصيبة أنهم ... فإتمالك أن قاطعته :

— المصيبة أنهم على بعد خطوة من هنا يا حضرة الأمور !!

فوضع المأمور « القلة » على الأرض ونظر إلى فاعراها :

— إيه ؟

فقلت في شيء من الحدة :

— طير إيه وسمك إيه : الرجل والبنات قدام باب المستشفى من ساعتها .

— المستشفى الأميرى .؟؟

— قر يا شيخ قل لواحد عسكري يروح يناديهم من هناك ، بلاش أمور ...

ولم أتم بقية عبارتي ، فقد نهض المأمور فرحا

الجمال غير مقترن بالفضيلة . الجمال الحق والفضيلة الحق شيء واحد . ولكن المصائب قمر الدولة عندما سنل عن الضارب فاه بكلمة واحدة ما زال جرسها الباهت ين في أذني : « ريم » : ولكن ما بال الفتاة صرخت وذهلت إذ علمت بالجناية أول مرة ؟ أهو تصنع وتمثيل ؟ لقد خلعت آهتها قباي خلعا في تلك الليلة . وما أشك في أن المأمور وهو على الأقل ذو خبرة بالقرويات قد تأثر مثلما تأثرت . فان كان مكر مثل هذه البنية الرقيقة بجوز على أمثالنا فأحرى بنا أن نوضع في سراط البقر لا أن نوضع أمامنا نفوس الناس نستطلع مجاهلها ونستكشف أسرارها . وألهتني هذه الخواطر وجمعتني قدماي من دون قصد إلى المستشفى ومررت بياض الكبير ووقعت عيني اللاهية على ذلك المنظر المعتاد من الأهالي والنساء والصبيان الجالسين القرفصاء فلم أحفل بهم . ولكني لم أكّد أغادر هذا الجمع حتى وقفت دهشاً . فاقدمت تحت الجدار على بعد قصبة من الناس الشيخ عصفور جالسا إلى الأرض وهو مطرق ينكت التراب بطرف عوده وبجواره الفتاة وقد أسندت رأسها إلى الحائط تعباً وإعياء أو كآبة وحزناً . فهمت كل شيء . إنها جاءت المستشفى تسأل عن حال المريض . وإنها أخذت من الشيخ الأخضر دليلاً وصاحباً ومعيناً ، وكان ينبغي لكأننا أن يتجه في بحثه إلى هذه الجهة القريبة . ولكن ما العمل الآن ؟ إنى مفردى ؟ ولا سلطة لي بغير رجال الحفظ ألقى اليهم بالأمر . لا بد إذن من الذهاب من فوري إلى دار المركز لأبحث أحد المساكين يأتي بهما . وأسهرت في السير قبل أن يعلما برؤيتي لهما فيهربا خوفاً مني . وابتعدت عن المكان وأنا أقول في نفسي : « لاشك أن الشيخ عصفور يعلم الآن كل أسرار القضية .

قبل أن يسمع مني . وصاح بصوت جليجل في صحن المركز :

— يا شاويش عبد النبي :

جاء من ناحية الاسطبلات رجل عملاق في قميص وسراويل بيضاء ورفع يده بالسلام وقال :

— أفندم سمادة اليك !

— قم حالا مع نقرين للمستشفى الأميري ومعكم قيد حديد ...

فتردد الرجل وقال مقاطعاً :

— « أودة التين » مفتوحة يا سمادة اليك والأنفار جارين الملبق والفرش للخيول ... فصاح فيه المأمور :

— يا حصان نفذ الأوامر ! إن شاء الله عن الخيل ما باتوا في أيامهم . قلت لك قم في الحال حاضر يا أفندم !

وتركت المأمور يفهم مرؤوسه ما يتبع . وانصرفت إلى مكتبتي بعد أن أوصيت المأمور أن يلحق بي مع المقبوض عليهما . فأنا لا أحب مطلقاً التحقيق في دار المركز وهي ليست داري . فرب المركز هو المأمور . ولا أَرْضِي انْفَسِي أن أكون في كنفه أثناء عملي . خصوصاً في هذه القضية وأمام هذه البنية . وذهبت على عجل وأرسلت من يستدعي كاتب التحقيق . ولم يمض قليل حتى كنت في حجرتي جالساً إلى مكتبتي أطيل النظر إلى الباب نافد الصبر منتظراً قدوم الفتاة كأنه موعد لقاء

وسمعت نقرأ على باب الحجرة . ودخل المأمور يسألني للفور عن المطلوبين فأجبت أني لم أر أحداً بعد . فجلس وهو يقول إنه أرسل من يأتي بهما . وجعل ينظر هو أيضاً إلى الباب ويقتل شاربيه . وجاء كاتبي بأوراقه ونشرها أمامي . واستعد كل

منا . وإذا بجلبة ترتفع في الردهة وصوت أقدام ثقيلة وصاصلة حديد ، وطرق الباب علينا ، ثم فتح وألقى بيننا الشيخ عصفور وحده مكبل اليدين وخلفه الباشجاويش يحمل له عوده الطويل . فوقع في نفسي فاني . وشعرت بوقع مثله في نفس المأمور . فقد ابتدر الباشجاويش صائحاً :

— والبنت ! !

— وجدنا الرجل وحده فقبضنا عليه يا أفندم

— وحده . ! !

قالها المأمور كما قلتها أنا في نفس الوقت ، وقد اختلط في نفسي الأسف بالمعجب والغضب . وخرج المأمور عن طوره فنهض وصرخ في وجه الشيخ عصفور قائلاً :

— البنت ! !

فلم يبد الرجل حراكاً . وأحس في هدوء رصين :

— بنت مين ؟

فنظر إليه المأمور نظرة شرراء وقال :

— إنت يا رجل شارب حشيش ! ! شغل الحشيش أنا أفهمه طيب ! !

وأراد أن يلكمه بقبضته القوية فتمتنعه من ذلك ، وأمرت الشيخ أن يدنو مني فدنا فسألته في رفق :

— ريم كانت معك ؟

فأجابني الرجل من غير تردد :

أبدأ

فأدركت أن عين الرجل البراقة قد لمحتني عند ضروري بياب المستشفى ، وفهم بذلك ما سيكون فأخني الفتاة في الحال ، أو أن الأمر غير ذلك وأن عيني هي التي خانتني فلم تكن ريم إلى جانبه ، وأن خيالي السامح في جو هذه الفتاة قد ألقى صورتها

والثانية بلطيه . . . »

فقاطعه المأمور صائحاً :

— مفهوم ، مفهوم ! والى غمرقت في الرياح

من سنتين كانت البياض والآ الباطية . ؟ ؟

فلم يحبه الشيخ ولم يأنف اليه ومضى يفتنى :

« واحده بياض شفتشي

والثانية بلطيه

والثالثة من بدعها

سحرت مرا كبيته »

وتهد في العبارة الأخيرة وأخذ صوته فيها نبرة

عجيبة ذات معنى ارتجفت له قليلاً ، ونظرت من

طرف خفي إلى المأمور فرأبته قد اختلجت عيناه ،

ولكنه تجلد وتحمّل وقال للرجل :

— ومن هم المرا كبية ؟ ! !

فأطرق الرجل وصمت صمتاً عميقاً . ولست

أدرى أهو أيضاً خيال منى أو حقيقة ما عتراني

من شهور بأن هذا الشيخ قد فهم ... وأنه قد

أدرك ما بنا منذ اللحظة الأولى ... »

(ينبع) نرفيس الحكيم

وأثوابها على امرأة أخرى من الفلاحات المنتظرات

بالباب . كل هذا جائز ، ولكن أين ذهبت ريم ؟

ولماذا أنهم بصري ولا أنهم هذا الشيخ المختال ؟ ومن

هو أولاً هذا الرجل ؟ وصحت فيه من فوري قائلاً :

نعال يارجل انت

— محسوبك .

— من أنت ؟

فنظر إلى الرجل نظرة من لم يفهم السؤال .

فألقيت عليه العبارة من جديد في شدة وقوة ،

فقال :

— أنا ... أنا عصفور ، ألقط الحبيب فوق

التراب ، وأعبد الرب تحت التراب :

— تكلم جد يارجل . اسمك ؟

— عصفور .

وأشار إلى يديه وفيها القيود وصاح :

— أطلقوني ! من حب النبي يطاقتي ...

فأمسرت العسكر بفك القيد من يديه ، وسألته

في صرامة :

— صنعتك ؟

فتردد الشيخ قليلاً وسكت لحظة ، ثم لفظ

آهة من أعماق قلبه ورجع رأسه إلى الوراء ،

وجمدت عيناه كأنهما تنظران إلى شيء لا وجود له

في عالم الحس والحقيقة ورفع عقيرته بالغناء :

« أنا كنت صياد

وصيد السمك غيّه

لرات بحر السمك

أصطاد لي نسيه

وعجبني شكل السمك

في البحر حواليه

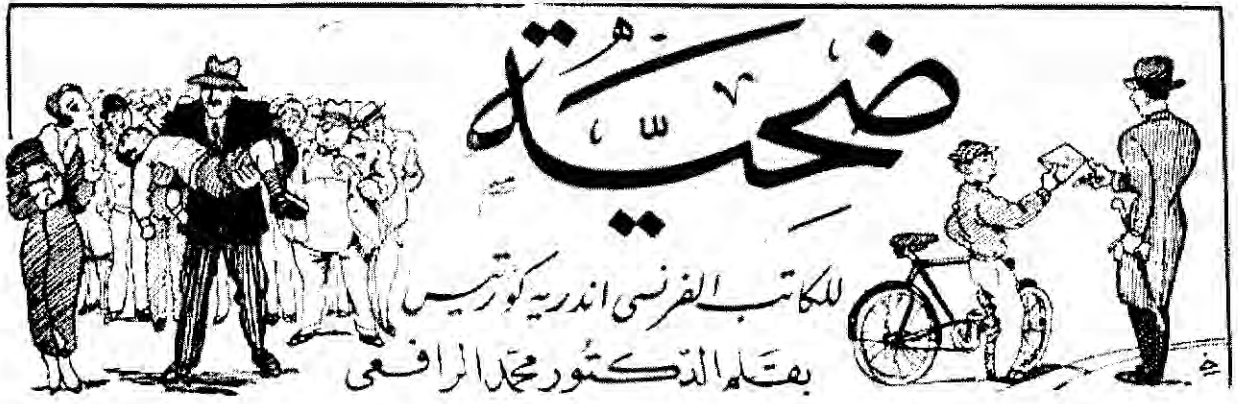
واحده بياض شفتشي

قصص اجتماعية

مترجم: بفلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

مجموعة من القصص الرفيع الشائق لثمانية من أعلام
الأدب الفرنسي ع : بورجيه . كرويه . أناتول فرانس ،
موباسان . نيريه . مارسيل برينفو . دي بانيل . جان
لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .
في ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتب

ثمنه ١٠ قروش وبيع مؤلفاً بـ ٦ قروش بخمس ٤٠ ٪
عدا البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب



وأطل الغلام من النافذة مرة أخرى فأبصر حملاً صغيراً قد أذهله متظار السيارة فثبت في موقفه حائراً دهشاً ... وأعجب الطفل بمنظره فصاح :
— ألا ترى هذا الحمل الوديع يا أمي ؟ ألا يمكننا أخذه ... ؟

فضمته أمه إلى صدرها وجمعت تقبله وتحنو عليه ؛ وانفجر الأستاذ لاماس من القبط فأعمل محرك السيارة وأندفع بها فجأة ، فلم تكذ تنبث حتى وثب له أحد الرعاة وأكرهه على الوقوف ؛ ثم صرخ فيه مزججراً مهدداً وأراه على ضوء مصباحه جثة الحمل ، وقد فرسته السيارة ودقت أضلاعه ، وكان الدم يسهر من فمه الصغير ...

وارناع جان ماري وفزع لهذا المنظر المرعب وجعل يصيح وقد لاذ بأمه . وأخفى رأسه في صدرها :

— يا للشيء ... يا للشيء ! لقد قتل الحمل ... لقد قتل الحمل :

فأخذت أمه تسكن روعه على حين ارتفع صوت لاماس وقد اشتد الجدل بينه وبين الراعي في ثمن القراصة المسكينة . وبعد حجاج ولجاج أخرج الرجل ورقة مالية ورمى بها في غضب إلى صاحب الفطيع ، ثم رمى الطفل وأمه بنظرة المنسخط ، وانطلق بالسيارة لا بلوى ...

غابت الشمس وأظلم الليل ولف الطريق في سواده ؛ فأنكشف على طرف الأفق نور يزهر في العتمة وهو يتحرك فيملو وينخفض كالنذير ليبلغ إليه أنظار السابلة . فما أن اقترب منه الأستاذ لاماس حتى أوقف سيارته ثم مد عينيه في ضوء مصباحها الوهاج فإذا سواد عريض من قطمان الغم تتابعت في سيرها مقبلة كالوج يدفع بعضه بعضاً ، وسطع له الضوء على مثل البحر من الصوف ، وملأت مسامعه الضججة من نغائها ورنين جلاجلها النحاسية ووقمة أظلالها على أرض الطريق ... ثم أخذ الرعاة يزجرونها وبنمقون بها يستحثونها للمسير حتى حاذت السيارة فتبعثرت حولها وجمعت تحتك بها فملأت الجو من ربح أسوافها الكريهة ونشرت عليه سحابة من غبارها الخائق ...

وعندئذ انحدر جان ماري من حجر أمه ودنا من نافذة السيارة ففتحها ، وأخذ يلفو ويهال ويهتف :

— الخراف ... الخراف ... إنها ولاشك مقبلة من جبال الألب ، جبال الثلوج والذئاب ... أترينها بالغة حظيرتها الليلة يا أمه ؟

فصاح به لاماس وله زئير :

— هلا عقت أسها الأحمق الصغير ... فما لك

ولهذا ؟

معهما خريطة الطريق فأمرت ابنها أن يريها الى
السيارة ، فلما نزل الطفل ، وقع في أذنيه صوت
صديقه مالميسيه ، وهو طفل أبله ، وكان يحدث
لاماس فيسأله هذا الأخير :

— ماذا قات لك ؟ تكلم وأوضح

فأجاب مالميسيه وهو يقطع ألفاظه :

— لقد أمرتني « ميون » أن أنتظر هناك
لأنك أنه لم يأت اليوم أحد

— إذن قل لها إنى سأراها غداً في الساعة

الخامسة

فانتظر جان ماري حتى خرج الغلام ثم دخل
فصاح به لاماس :

— ويحك ! ما الذي جاء بك ؟

فكان جوابه أن رى بالخريطة في السيارة ،
وانسل راجعاً ولم يتكلم

جلس الأستاذ لاماس يأكل طعامه ، وكان
موزع الفكر ، وحمل برامق زوجته بنظرات
كنظرات الأعداء ، وهي غافلة عنه إذ كانت ،
كعادتها منذ شهرين ، تهيم في عالم الخيال تهتماً
بسمادتها ؛ وكان جان ماري يراقبه فيلاحظ منه تلك
النظرات التي تهدد سعادة أمه ، فيرتاع لها ويود
لو صرخ في وجهه : « أيها القاتل ... أيها القاتل »

وكان من عادة لاماس وهو مدرس علم التاريخ
في اللدسية بمدينة أورانج ، أن يذهب الى تلك
المدينة لالقاء دروسه بعد الظهر من أيام الاثنين
والاربعاء والجمعة . أما يوم الثلاثاء فيقضيه هناك
في إعطاء الدروس الخاصة . فما الذي عاقه عن السفر
اليوم مع أنه يوم الثلاثاء ؟ لقد كشف زوجته بنيته
أن يخرج وإياها الى متنزه فلم تستجب له وذهبت

وكان الراعي قد أنام ذلك الحبل القاتل على يديه
كالطفل الصغير فانشى عقه وتدلى رأسه في
مسكنة وذبول ... وانطبع هذا المنظر الخفيف
الهائل في خيال الأم وزاده هولاً نظرها الى طفلها ،
فجمعات تضمه إليها وتهدهده وهو ينشج في بكائه
وصاق الأستاذ لاماس فصرخ :

— أما أن لك أن تسكت أيها اللعين !

فكانت الصرخة كالضرب ...

وسكت الطفل وأخذ يفكر ... إنه لا يحب

هذا الرجل العاقى وهو غريب عنه ، ولم يكن ليقول
له « يا أي » لولا ضراعة أمه إليه ... كلا إنه لا يحبه
ولقد أصبح يحقته أشد المقت ويمده قاتلاً ككل
قاتل ... ألم تكن في قلبه رحمة ؟ ألم يكن يستطيع
الانتظار حتى تجوز الغم ؟ ولم هذا الغضب ، ولم
هذه القسوة ، ولم هذا النظر الشرير ؟ ألا صبراً
صبراً ... فهو لم يباع الساعة بعد ... ولكنه
سوف يشب شيان ، وسوف ينتقم ما ينتقم لذلك
الحبل ثم ... وأخذت الأفكار تموج في رأسه
وتضطرب وخيل إليه أنه هو تلك الفريسة ، وأن
السيارة مندفعة إليه تحطم أضلاعه وتدقه بعضه
في بعض ، فصاح من رعبه :

— يا للوحش ... يا للوحش !

وانحنى عليه أمه متفزعاً وسألته عما به ،
فأجابها لعله كان يحلم ...

وانطلقت السيارة تحت الليل البارد حتى إذا
بلغت نهر الرون عبرته وأخذت الى نهاية الرصفة ،
وهناك منزل لاماس ، فقال هذا الأخير لامراته :

— اصعدى أنت فأعدي العشاء وسأدخل

السيارة في حظيرتها

وصعدت المرأة في السلم ثم ذكرت أنها تركت

ستقضى الليل بجانب ذلك الرجل ذى العيينتين المدوّتين ؟

وثب من سريره وفتح الباب ، ثم صعد السلم يسرق خطاه حذراً أن يسمع خفق قدميه ، ومضى يقترب من حجرتهم ، وكان الضوء يتخيل من أسفل الباب

وأصت فلم يسمع حساً ، فراه هذا السكون ... إنه خائف ، ولقد ارتجف ... يا اللهى ! أما من كلمة فى فم أو فى قفا ؟ كلمة واحدة يسمعهما فى مكان إليها وشق سمعه صوت أمه وهى تقول فى حدة :

— ألم بأنك أن تخبرنى ماذا بك يا سكتوريان ؟ فأجابها لاماس إنه ليس به شئ ، ثم أطفأ النور وعند ذلك اطمان جان مارى على أمه فارتد إلى غرفته ؛ بيد أن الأرق استولى عليه فلم يجد النوم إليه سبيلاً ؛ فأخذ يفكر فى صديقه ما ليسيه وفيما أرسلته به الموضع المعجوز ... ولماذا انتظر فى (الجراج) ولم يبق الرجل فى المنزل ؟

ثم أشفت ملائكة النوم على هذا العقل الصغير من الحمى التى انتابته ، فتنفست على وجهه ، فأخذ السكرى بأجفانه ونام ... وارتفع فى الخارج هدير مياه النهر وهى تتلاطم على صفته الصخرية ، ورفرفت فى الفضاء روح الحل المقتول ...

وفى الغداة ذهب جان إلى المدرسة تجلس غائب الفكر بهيموماً ، تلقى أمامه الدروس فلا يصعب إليها ولا يفقه منها شيئاً ... ولما انتهت الدراسة أوفض إلى الميدان الذى تعود أن يقابل فيه صديقه ما ليسيه فالتصقه حتى وجده ثم ألطفه بشئ خصه به ، وجعل يتسقطه ليكشفه عن سره حتى أفضى به إليه ثم تواطأ معاً على السكمان

وأمرع جان بعد ذلك إلى المنزل فكان فيه

على خلاف عاداتها إلى المدرسة ، فصحبت ابنها عند خروجه وجمعت ذلك عذراً تعتذر به ، فغضب الرجل وقال : إن هذا عذر سخيف ... لىكن لماذا قال ذلك ؟ آه ... إن جان مارى قد بدأ يفهم ... فبالقرب من المدرسة يقع منزل والدته الاول ... منزلها الذى ولدت فيه وورثته عن أهلها وعاشت فيه مع أبيه قبل أن يقتل فى حادثة الطيارة ... إنه يذكر هذا المنزل ... لقد كانوا ينزلون منه فى طبقته العليا ، وأبت أمه أن تؤجره بعد وفاة أبيه ، وراغمت فى ذلك زوجها الجديد لاماس ؛ فجاء هذا بالمعجوز الدميعة « ميون » وهى طئره ، فأسكنها فى الطبقة الأرضية نكابة بامرأته ...

ثم إن جان مارى بدأ يفهم ... فليس من ريب أن أمه انما تعمدت اليوم أن تمر بذلك المنزل لحاجة قلبها إلى الذكرى ... ولكن لماذا يغضب لاماس ؟ أليس هذا من حقها ؟ ولماذا يرامقها بتلك النظرات المدوّنة : إنه يكابدها منذ شهرين ... فلا جرم أصبحت تندم على زواجها منه وإن كانت فى حاجة إلى هذا الزواج لراحة حالها ... ولكن جان مارى ان بكاشفها بما يعلم اشفاقاً عليها ... انه رجل ، وإن من واجبه أن يحمىها من ذلك الشق السفاح ... الذى قتل الحل ...

وجمع تحت المائدة قبضتيه الصغيرتين يهددهما الرجل ويتوعده ...

أرقدت الأم ابنها فى سريره ، وطبعت قلبها على جبينه فأمسك بها وقال :

— إنى أخاف عليك يا أماء ... أفلا تبقيين معى يا طفلى الصغيرة ؟

نحفت من جأشه وخرجت من الغرفة بعد أن أوصته بالنوم . ولكن أنسى له أن يهجع وأمه

وبهذا كان دائم التردد على منزلها . وكان الجميع يتهمزأون به ويسخرون منه إلا صديقه جان ماري فبينهما الطفولة والصداقة

والنقى هذان الطفلان كما اتفدا في الصباح ثم سارا الى دار مانيسيه وتربصا حتى دقت الساعة الخامسة فاسرعا الى موعد الأستاذ لاماس في منزل ظئره المعجوز ، وانزلا اليه من باب خلفي عهد مفتاحه الى مانيسيه لأطعام الدواجن ، ورأيا وسمعا ...

جالسوا للمساء ، وكان جان ماري صرتيكا يود لو أسرعوا في الطعام مخافة أن يدرك لاماس شيئا من أمره ، أو يستريب به ، أو يسأله سؤالاً ينكشف فيه ... غير أن الأستاذ كان لاهيا بشأته وبالأفكار التي تذهب ونجى في رأسه . أما والدته فكانت كماداتها شاردة الفكر تلتقي في الخيال برجل قد عرف جان اسمه منذ ساعتين فقط ...

وفرغوا من الطعام وأدى جان الى فراشه ولم يحاول في هذه المرة استبقاء أمه الى جانبه ، فالخطر لا يزال بعيداً ولا يزال في الوقت سعة ؛ ثم هو في حاجة الى أن يتدبر ما رآه وما سمعه في منزل الظئر المعجوز ...

كان يكمن في الغرفة المجاورة ، وجمل يوم صور من تقب في الباب ، فرأى لاماس يدخل فيجلس بجانب المعجوز ؛ وحدثته فيما حدثته به أنها تسمع في كل ثلاثاء ديب خطوات في الطابق العليا ، وأنه قد تبين لها أنها خطوات رجل وامرأة ... أما أمس فلم تسمع شيئاً وقد أبانته ذلك في اسان مانيسيه فأوما لاماس برأسه وجمل بحديق في نيران الموقد كما كان يحملق في الموضع الذي سقطت فيه المثبنة ، وكما كان يرامق زوجته بالأمس ...

لوقته المعلوم ؛ ثم جاءت أمه في عقبه وكانت قد خرجت تبتاع شيئاً من الفاكهة ، فوضعت ما تحمل وأخذت تداعب ابنها وهو ينظر إليها في إعجاب .. لقد كانت جميلة في تلك الساعة فخرجت وجنتاها وشع السرور من عينيها ، وتهدأت خصل من شعرها الأسود الفاحم على جبينها المشرق الوضيء وأرادت أن تسوي شعرها فتناوات منبتهما^(١) وفتحتها لتخرج منها المشط ولكنها مدت من يدها وانقلب ما فيها ، فلاحظ جان بين أشياء مفتاحا وخطابا غفلا من العنوان ، قد علق به القبار كأنها النقطة من الأرض ... فأهوى ليأخذها ولكن أمه أمرعت فاخططفته وغيبته في حقيبتها وقد زاد احمرار وجهها

وفي تلك اللحظة انشق باب الغرفة وخرج منه لاماس متشمئطاً مبتدلاً تعجبه العين ، فقال لزوجته في لهجة الرئاب :

— هل خرجت اليوم يا أنى ؟

وأجابته :

— كانت الخادمة مشغولة بإعداد الطعام فخرجت اشتري الفاكهة إلى ذاهبة لأغير ملابسى فراجعة بمد هنيئة

وأخذت ترتقى السلم وقد حملق لاماس في الموضع الذي سقطت فيه المثبنة ...

كان مانيسيه في العاشرة من عمره ، وهو بنيم قد كفلته خالته ، فسكان الجيران يمتحنونه في أعمالهم بشئ من الطعام أو قليل من المال

ولما كانت الموضع « ميمون » مقعدة لا تقوى على الحراك فقد استأجرته هي أيضا في حاجتها .

(١) المثبنة حقية يد المرأة

إنها والله نظرات يقلى بها الدم في عروق جان
مارى المسكين فيفزع في فراشه كلما تمثلهما ...
وترى من هو كسافييه دويناس الذى جاء
اسمه في حديثهما ؟ كسافييه ... كسافييه ؟ آه !
لقد تذكره الآن ... فهو شاب مهندس جبل المنظر
حسن الشكل ، يعمل في مناجم الفحم بالمدينة ؛
وقد عرفته أمه في السنة الماضية على شاطئ البحر ،
وكانت تنسهر اذا خرجت معه وتحاذر أن يراها
زوجها فلم يرها . أما « ميون » فمجازى مقعدة
لا تبرح مكانها ، فكيف سقط لها هذا الخبر ، ومن
أبن لها أن كسافييه هو الرجل الذى يجتمع بأمه في
الطابق العليا كل ثلاثاء ! امهم يظنون ظناً فقط ...
ولكن لاماس كان يقول للمجازى ويكرر هذا
القول :

— إني واثق من أنه هو بعينه . انه هو بعينه
الرجل

وكذلك صر في الحديث نياً خروج أمه في
الأيام الأخيرة كل صباح وتلقبها الرسائل تدس لها
تحت الباب ... ثم قال لاماس
— سوف أأخذ مفتاحاً آخر لهذا الباب ،
وسوف أنصب عليهما انصباباً في الثلاثاء القادم
وسترين كيف يكون الانتقام ...

الانتقام ... يا إلهي ! إن حياة أمه كالمعلقة في
خيوط دقيق ... ماهذه الحى ؟ إنه يهدى ... هاهوذا
لاماس ينصب عليه انصباباً ليأخذه فيقتله ...
ثم أخذ يصيح في فراشه ففزعته أمه وأمرعت
إليه ، ولكنه استمسك ولم يفض إليها بشيء إذ
لا يجب في رأيه أن تعرف هذه العزيرة ما يهددها
خشية أن يفضحها اضطرابها ... وهو وحده سوف
يحميها ويمنعها

جاءت الأيام تمر ووجهه يزداد في كل يوم
شحوباً ، وتفضن جبينه من القطوب والتفكير ،
ولم تلاحظ أمه هذا التغير الذى طرأ عليه فقد
شغلها عنه سمادتها وأحلامها ، وكانت تخرج كل
صباح ... إنها هي لاتعلم ولا تحذر ، ولكن جان
مارى موجود يتأهب ليوم الثلاثاء ...

وجاء اليوم الموعود فكان ما ليسيه صديق جان
متكئاً الى دراجته على مقربة من مناجم الفحم ،
وليث يتقرب خروج دويناس حتى رأى مقبلاً
فأسرع اليه وقال له في كلامه المتقطع :

— أمرتني عقيلة الأستاذ لاماس أن أحمل
اليك رسالتها فهي تريد ألا تلقاها اليوم وأن تبقى هنا
عجب دويناس وحار في هذه الرسالة وفي
الغرض منها . ألم تجد غير هذا الأبله فتأتمنه على
السر ؟ وما بالها لم تكتب اليه بذلك ، وقد فعات
هذا من قبل ، يوم الثلاثاء الماضى ؟

وممنته بلاهة الغلام أن يستقصى منه ، فألقى
اليه بقطعة من النقد واكتفى بسؤاله : أهى مريضة ؟
فهز الغلام رأسه بعلامة النفي ، أوماً بها وهو
يمتطي الدراجة ثم اندفع يدرج في الطريق وقد
اطمأن نفسه إذ وفق فيما عهد اليه

والتقى عند الظهور بجان مارى فأخبره عما صنع ؛
وتسلم جان وسره نفاذ تدبيره المحكم ... ثم وعد
الغلام أن يجزيه عشرة فرانكات إن هو كتم السر
وتقشمت سحابة وجهه فتلونت وجنتاه
ولمت عيناه ، ورنث في صوته نفثات القلب الطمأن
الوائق ... إنه سيذهب الآن فيتحدث الى أمه
ويكاشفها

ها هي ذى خارجة من غرفتها وقد تهبت

واستلّ جان ماري المفتاح من موضعه قدسه في حبيبه وانطلق معلناً أنه ذاهب الى المدرسة ؛ غير أنه ما كاد يعتمد عن الدار حتى تحول الى مكان الموعد في منزل أمه فصعد الى الطابق العليا وأغلق عليه الباب ...

لقد كان هذا المنزل موحشاً كالقبر ، فهو مفارق النوافذ علاه الظلام وقد ركذ فيه الهواء وتلخّث إذ مازجته رائحة الغبار المتراكم وقد تندّى بالرطوبة ارتعب الطفل وانخاع قلبه وأخذ يرتجف ... ولكن أنحف وقد أشراف على نهاية تديره المحكم ؟ كلا ... إن ما يخشاه على نفسه لا يعد شيئاً في جنب ما يخشاه على أمه .

ودخل إلى البهو فجلس في ركن منه وأخذ يتلهى بالتفكير في المعجوز ميون تحت السقف الذي هو عليه ... كيف هي الآن ؟ إنها تعد عنتها الهزبل وترفع وجهها الدميم إلى السقف ، وترهف أذنيها لاستراق السمع ... ! ولكنه سوف يجعل من هذه الداهية ومن رضيعها لاماس أضحوكة أو أضحوكتين ...

وكان ينظر في ساعته بين الوقت والوقت على ضوء شمع ضئيل يتفد من صدع في نافذته ، فلما حانت الساعة الثالثة ، وهي ساعة الموعد بين أمه وصاحبها ، نهض واقفاً وأنشأ يسير في الغرفة ذهاباً وجيئة وهو بشد وطأنه كالرجل ، ثم جعل يحرك الأثاث ويرجه رجاً ليبلغ الصوت إلى مسمي المعجوز ... : لا شك أنها مستطارة من الفرح ، مطمئنة إلى ما تقوله للأستاذ لاماس إذ تقول له « إنها هنا » ؛ ولا شك أنه سيثب في السلم كالجنون ويفتح الباب بالمفتاح الذي اصطنعه ، ثم يقتحم البهو كالوحش الضاري ، وعند ذلك ... ؟ عند ذلك

الموعد وأبدعت زينتها ... ما أجملها ... وإياها من مسكينة ! فهو سيحرمها مقابلة صديقتها اليوم ... ولكن أليس هذا الحرمان عطاءً ؟ يوم واحد ثم تقابله بعد ذلك كل يوم ... إنه سيكشفها غداً ويفضي إليها بكل ما عانى في سبيلها ، وستعده بطاها العظيم وتعجب به وتقبله كثيراً ... إياها من سعادة ! إنه سعيد ، إنه سعيد ...

جالسا يا كلان فقال جان لأمه وقد حوّل نظره عنها :

— أقيت اليوم صديقي مالبسيه في رجوعي من المدرسة وكنت قد أعمرته دراجتي فأخبرني أنه صادف أثناء نزّهته هذا السيد الذي تعرفينه ... أُنذ كرين ؟ هذا الذي قابلناه على شاطئ البحر ... ؟ فاختنق صوت الأم وغمغمت :
— وماذا قال له ؟

قال له : « إني على جناح السفر الى بلدة -الون فيلنخ ذلك لعقيلة لاماس »

ولم تشأ الأم أن تفيض أو تسكر من الأسئلة ، فان كل سؤال يحرك ظناً وكل ظن يبعث ريبة ، فسكنت ورفعت يدها من الطعام ، وانقلبت سجنها فأصبحت كالنجم الساطع تغشاه السحاب ثم قطع جان ماري هذا السكوت فقال لأمه :
— هل لك في زيارة عمتي الآنسة ريزون اليوم ؟ لقد تصرّمت الأيام ولم تذهبي إليها ...

وسرت الأم لهذه الفكرة التي خطرت كالوحي ، فهي لم تذهب منذ زمن طويل لزيارة تلك العانس ... وسيهون ذلك عليها ملل الانتظار الى الغد ؛ وفي الغد تقابل صديقتها في المناجم

جان ماري وستذهب لزيارتها ... أما غدا فإن لم تتلق رسالة من دويناس فأنها سوف ... ولكن ما هذا الصوت ؟ ما هذه الجلبة ؟ ما هذا الصياح ؟ أزعجت الستارة عن نافذتها ... فها هذا ؟ رجل مخفور مقبوض عليه ، حوله نساء يبكين ويتصايحن ويلعنن بكل لعنة ويرمينه بكل مسبة ... ولكن هذا زوجها : وما هذا الذي خلفه ؟ يا الهي ... يا الهي ...

واندفعت تهبط السلم في غيروي فرأت بالباب رجلاً من أهل المدينة يحمل على يديه جثة هامدة يسيل منها الدم ؛ وقد انثنى عنقهما وتدلّى رأسها في مسكنة وذبول ... فصرخت ووقعت مفشياً عليها ، وتمثل لها الراعي وقد رفع الجمل المقتول على يديه وهو يلحن صاحب السيارة والسيارة يتعمد ...

محمد الرافعي

كتابه جديرانه

الموجع في المحادثات

(١) فرنسي إنجليزي وفرنسي (٢) فرنسي عربي مع تصوير النطق
نائب الأستاذ محمد مجتهد المخرج المتجدة لعليا لمير
رئيس القسم الأول في دار المحفوظات العربية بالقاهرة
كذلكها دروس عمليّة لمتاح في روضة الطول بأخذ
ببكره عن طريق القارئة والناشي يتقلب بك على
خصيات البشر بكل منهما ٨٨ مترضعا وأبنا مفردات
محادثات ٨ رسائل ٨ مسترآن يتخلل تلك جميع الصيغ
ليست في غنى عما لها وأراغب

رغمه ٦٦

بياع جميع الكتاب

وبالبريد ٦٨ مليا طوايع بريد لكل واحد منهما

يصرق إذ يرى جان ماري ؛ فيبتسم له هذا باشاً في وجهه وينبذه في سداجة الطفولة أنه اعتاد المحي إلى هذه الدار في هذه الطبقة في مثل هذا اليوم من كل أسبوع ليأب في منزل أبيه ... وبعد ذلك ... ؟ وبعد ذلك لا يرتاب لاماس إذا أخبرته المعجوز أنها تسمع خطوات في الطبقة العليا ... إن جان ماري لم يتمد السابعة من عمره ، ولكنه يمتد في نفسه القوة والحكمة والدهاء ... وقتئذ له دهاؤه أن يشكم بصوت مرتفع إذ رعا كانت المعجوز تسمعهما يتكلمان أحيانا ... وطفق يمشي ويشكم حتى نال منه التعب فاستلق على مقعد وسكت ... أما يسكتان هما أيضاً بعد الفراغ من حديثهما ... ؟

وكان المقعد الذي يجلس عليه في ركن مظلم بحيث لا يراه لاماس عند دخوله ، فسبضطر مكرها إلى فتح النافذة لأطلاق الضوء ، وعند ذلك ... ؟ ولكن أوه ... إنه يسمع ديب خطوات على السلم ... ها هي ذي تتوقف ! لا شك أن لاماس يتسمع خلف الباب ... ألا إنه قد جاء وقت العمل ... وعليه الآن أن يشكم ويرفع صوته ... ولكن ما لصوته يتحسرج ! إن هو إلا صوت خافت ينبعث من ركن الغرفة المظلم كالهمس ... وفتتح الباب واستمر الهمس ... فأدرك لاماس « أنهما في لذهما ولم ينتها إليه » وابتهج ابتهاج الوحش بالقيصة يراها غافلة عنه وهو يدب إليها ؛ وأخذته نشوة الانتقام ، فأفرغ رصاص مسدسه على مصدر الصوت ...

وقفت الأم أمام المرأة تحكم وضع قبعتها قبل الذهاب إلى الآنسة ربون ، فقد أعجبها رأى

الصمت

للكاتب الروسي يونس اندرييف

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صديقي



— ١ —

في ليلة من ليالي أيار
معمرة إضحية ، والبلابل
في القمراء تلمع شادية
مشجية ، أقبلت أولجا
ستبانوفنا على زوجها
الأب إجناتي وهو جالس
إلى مكتبه . وكانت
أساور وجهها ناطقة
بأمض الحزن وأوجعه ،
والسراج في يدها مهتر
مرجف . فلما دانت لمست
براحتها منكبه وقالت
مختنقة الصوت مبهشة :
— أبتاه ، انصعد

إلى ابنتنا فيروتشكا !

فتجههم الأب إجناتي وقطب حاجبيه من فوق
عدساته دون أن يلتفت إليها . وظل شاخصاً ببصره
في الفضاء طويلاً حتى أسقط في يدها ، فقلبت
كفها الأخرى تقيب الموموم الجزع ، ونهالكت
على أريكة خفيفة هناك وقالت :

القصة الروسية من أحق القصص بالناية ، وذلك
لطابع الذي انفردت به ، وللإنسانية العالية التي تشمل
عليها ، ولأنها طليعية صادقة ، ولتأثيرها العميق
واستنارتها للمواطن ، وأخيراً لما فيها من الدلالة على
نفسية الشعب الروسي

وصاحبنا يونس اندرييف من أقرب الفصاحين
الروس الكبار عهداً إلينا . وهو ينظر إلى الأشياء
على نحو خاص به ، ويصورها بلمسات قوية من ريشته
المنفحلة تظهر النور والظل بأكثر أحجامهما وأبلغ
تباينهما

وفي كل قصة من قصصه فكرة مجردة يحرك حولها
الأشخاص والحوادث ، وهو مع هوله يحفظ التوازن
ويشعر بأنه ليس في الدنيا شيء يثقل ولا خير يحسن
وأندرييف كمعظم معاصريه من الفصاحين
والكتاب نشأ من طبقة الشعب وعرف الضك والجوع
وابتلى بالكآبة والأسى . وقد تخرج في القانون
واشتغل أول أمره بالرسم ثم بالصناعة ، ولكنه
لم يكد ينفر على الناس قصة « الصمت » حتى كانت
له منها نباعة الذكر والشميرة الذائعة . وهي مثال رائع
على طريقتة في كتابة القصة

— ما أقسا كما كليكما !

قالت ذلك بصوت
وئيد مع التشديد أبلغ
التشديد على « كليكما » .

وقد تقلص وجهها المنفتح
المتحزن بأمارات من الألم
والعنت ، وكأنها أرادت
أن تفصح بسياها
وأمارات محباها عن مبالغ
ماتعاني من قسوة القوم :
زوجها وابنتها

وأرسل الأب إجناتي
ضحكة ونهض . ثم أطبق
كتابه وخلع عدساته
ودسها في علبتها وأطال
التفكير مكتئباً وقد

استرسلت على صدره أجمل استرسال لحية جثة
وخطها المشيب ، وكانت تملو وتهبط في هواة
مع أنفاسه الممتلجة العميقة

وبعد هنيهة قال : « حسن . تذهب »

فهبت أولجا واقفة . وقالت تناسده بصوت

متوجس متراف : « وإنما رجائي اليك يا أبتاه ألا تمنعها . أنت تعرف طباعها »

وكانت غرفة فيروتشكا على سطح المنزل ، والدرج المؤدى إليها خشبي ضيق ؛ فكان ينسج وبصر تحت أقدام الأب إجناتي وخطاه الثقيلة ، وقد اضطر الرجل لطول قامته وعظم جرمه أن ينحني حتى لا تصطدم هامته بسقف السلم ، وكانت زوجته تتقدمه في ثوبها الأبيض فلمس ردفها وجهه فانقبضت أساريره وعبس متمللاً متبرماً . وولج الغرفة وهو على تمام اليقين بأنهما في حديثهما مع فيرا ابنتهما لن يخرجاً بطائل

وقالت فيرا : « يا لله ! هذان أنما ؟ » ورفعت إلى عينيها ذراعاً عارية وبقيت ذراعها الأخرى على اللحاف الصيفي الأبيض بحيث يتمذر التمييز بينهما لفرط بياض ذراعها وشفوف لونها وبرودة مجسها فابتدرتها الأم بسدائها : « فيروتشكا ! » وخنقتها العبرة فسكت . وقال الأب إجناتي وهو يجاهد للتلطيف من جفاء صوته وخشونته :

— فيرا : خبرينا ماذا بك ؟

فطلت فيروتشكا صامتة

وعاود الأب إجناتي خطابه : « فيرا : أترين أمك وأنا غير أهل لنا جانا بأمرك والاستراحة الينا بذات صدرك لا ألسنا نحبك ؟ وهل لك من هم أقرب إليك وأمس بك منا ؟ بئى إينا شجوك وصدقني أنا الشيخ المحرب أنك واجدة بعدها بعض الراحة ، وكذلك نحن . انظري إلى أمك المعجوز وكيف عذابها . . . فيروتشكا . . . وأنا — وهنا تهـدج صوته كأنما انشعب شيء فيه شطرين — وأنا ، أهون على ، تحسبينه يهون ؟ كأنى لست أبصرك نهـب لوعة . . . ولكن ماهي ؟ وأنا ، أبوك ، على جهل بها ، أصبح هذا ؟

ولكن فيروتشكا ما برحت صامتة . وحيالها الأب إجناتي يوالى مسح لحيته في تحفظ ظاهر كأنما يخشى أن تنالها بالنتف أصابعه المضطربة من حيث لا يشعر . ومضى في حديثه يقول :

— خالفت مشيتي وذهبت الى بتروغراد —

فهل لمنتك على مخالفتك ؟ أكنت يوماً عليك بالمال ضيقاً ؟ أتقواين انى لم أك برأ بك حدباً عليك ؟ إذن ، لم لا تتكلمين ؟ انظري ، أى خير أصبت من بتروغراد !

وانقطع الأب إجناتي عن الكلام فجأة ، وتمثل كالعيان لخطاره بناءً من الجرانيت هائل رهيب ، حافل بأخطار راصدة كامنة ، مكتظ بخلق غريبة أطوارهم ، جاسية مشاعرهم . وهنا ذهبت فيروتشكا وحيدة ضعيفة ، وهنا كانت تلفها وضياها ، فحاشت في نفس الأب إجناتي نقمة على تلك المدينة الهائلة الغامضة ، تشوبها النقمة على ابنته ، وهى ما فتئت صامتة ، صامتة فى تشبث وعناد أما فيروتشكا فأجابته بجفاء وهى مطبقة جفניה : — لا دخل ألبنة لبتروغراد فيما أنا فيه . على أنه لا نئى بي ، والأولى أن تذهباً للنوم ، فالساعة متأخرة

فأنت الأم : فيروتشكا : إطمئنى إلى بمريرتك يا بنيتى !

فقاطعتها فيروتشكا نافذة الصبر : كفى يا أمى ! وجلس الأب إجناتي على مقعد وجمل بضحك ، ثم قال منكمها : « حسن والله ! ليس فى الأمر شيء بعد هذا كله ؟

فأجابت فيروتشكا بلهجة حادة ؛ وقد أقامت صمدتها واستوفزت فى فراشها :

— أبت ! أنت تعلم حى لك ولائى ، ولكنى إنما أشعر بخمود شديد ، وسيزول هذا كله . .

فأنها في ذلك المساء ألفت بنفسها تحت بحجلات
القطار فشطرها نصفين

وقام الأب إجناتي نفسه بدفنها ، ولم تشهد
زوجته حفلة الصلاة عليها في الكنيسة ، لأن نني
فيروتشكا كان صدمة لها أصابها بالفالج . فقدت
كل حراك لقدميها وذراعيها ولسانها . فبقيت
طريحة في غرفة محجوبة الضوء ، وعلى مقربة منها
تدق الأجراس في القباب معولة نادية ، وإنها
لتسمع موكب الجناز خارجا من الكنيسة وتسمع
المرتين ينشدون في سرورهم أمام المنزل ؛ واقدهت
لترفع يدها وترسم إشارة الصليب فلم تطاوعها
يدها . وأرادت أن تقول : « الوداع يا فيروتشكا »
ولكن لسانها لصب في فمها هامدا مورما نفيلًا .
وهكذا كانت طريحة بلا حراك حتى ليحبسها الرائي
هاجمة في ثقلة الكرى لولا عيناها المفتوحتان

وتشهد صلاة الجناز في الكنيسة جمع حافل من
معارف الأب إجناتي والغريب عنه . وكاهن مترحم
على فيروتشكا متوجع لمصرعها ، وهم في نفس
الوقت يتتبعون حركات الأب إجناتي ونبرات
صوته ليستدلوا بها على حزن عميق وجوى لا عج .
إذ كانوا في قرارة نفوسهم لا يحبون القس لما في
خافه من عنجهية وعجرفة ، واشدته وصراوته مع
التائبين المنيبين على بديه ، فضلا عن أنه حسود
جشع لا تفوته فرصة بتقاضى فيها هذا أو ذاك من
أهل دائرته أكثر من حقه . فالكل هنا يودون
التشفي برؤيته مثالًا كسيرًا ، ويودون أن يروا
إقراره على نفسه بأن مصرع الفتاة يركبه منه إثم
مضاعف ، باعتباره أبًا فظا غليظ الطبع ، وبصفته
قسًا ظهر بحجزه عن وقاية لحمه ودمه وفلذة كبده من
الخطيئة . ولذلك أمعنوا في ملاحظته والتطلع إليه ،

والحق أنه أولى لسكا الذهاب للنوم ، وإلى لراغبة
فيه أيضًا . غداً أو في حين آخر ، سيكون لنا
متسع للحديث

فهب الأب إجناتي دفعة حتى ارتج مقدمه
وصدم الحائط وراءه ، وأخذ بذراع زوجته قائلاً :
« لنذهب »

فأنت هذه : « فيروتشكا . . . »

فصاح بها الأب إجناتي : قلت لك فلنذهب .
وإذا كانت قد نسيت الله ، فهل ننساها مثلها ! ولماذا
واجتنبها للخروج في شيء من العنوة والقسر .
وكانت وهما يهبطان السلم بحجر أقدامها جرأ يزداد
تناقلاً وتراخيا . وغمغمت في همسة منغضية : أف منك !
أنت أيها القس الذي جمعتها كذاك ، وعنك دون
سواك أخذت هذا الطبع . وإنك لستول عنه .
آه ياربي ، ما أتعسني !

وجملت تولول وكفة الدمع مطروفة الجفن حتى
لم تعد تتبين مواقع خطاها ، بل كانت تاركة قدميها تهبط
الدرج كأنها تنساقط إلى هاوية ترغب في التردى فيها
ومن ذلك الحين صحت عزيمة الأب إجناتي ألا
يكلم ابنته . وكأنما لم تظن الابنة إلى هذا التغير
منه ، وظلت كعهدها تضطجع آونة في غرفتها
وآونة تعمد إلى الخروج . وكانت كثيراً ما تمسح
بالراحتين عينيها كأن عليهما غشاوة . ولكن صمت
الأب وابنته كان يثقل على الأم ويكرهها ، فباتت
وهي بالأمس الواهمة بالزاح والضحك أبعد أهل
الأرض عنهما ، فتراها ذاهلة منقبضة لا تكاد
تعرف ماذا تقول أو ماذا تفعل

قلنا إن فيروتشكا تخرج أحياناً للتنشيط والتنزه
تحدث بعد أسبوع من المقابلة الآتفة الذكر أن
خرجت خروجها المعتاد كل مساء . وشاء القدر
ألا يراها أبواها من بعد حية بينهما رائحة أو غادية ،

نظيف مرتب والمقاعد الكبيرة مسرلة في أغطيها
البيضاء كأنها الموق في أكفائها . وفي إحدى
النوافذ قفص معان ولكنه خاو وبابه مفتوح .
وحين ذاك نادى الأب إجناتي : « نستاسيا ! » فبدأ
له أن صوته أجش ، وأحس أنه يسىء صنعا بعيد
جنازة ابنته أن يرفع الصوت الى هذا الحد في تلك
الحجرات الهادئة ، فعاود النداء بصوت أكبر
تلطفًا وخفوتًا : « نستاسيا ! أين الكناري ؟ »
فأقبلت الطاهية وأنفها من كثرة التحجب

منتفخ وارم ولونه قان كالجزر
وأجابت بجفاء : — لا أدري . لقد طار
فقطب الأب إجناتي حاجبيه مغضبا ،
وصاح بها : « وكيف تركته يطير ؟ »
فأجهشت تبكي وتسمح دموعها بذوائب المنديل
المصوب به رأسها . وقالت :
— إنه الروح الجميلة العزيزة لسيدتي الصغيرة
الراحلة ، فكيف لي بحبسه ؟
وخيل الى الأب إجناتي نفسه أن الكناري
الصغير القاقع اللون السميد الذي كان دأبه التفريد
شائخا برأسه قد كان حقيقة روح فيروتشكا ، وأنه
لو لم يطر الكناري لما صح القول بموت فيروتشكا ،
فاشدت على الطاهية نغمته وصرخ بها :

— اغربى عن وجهي !
ولما لم تبادر توا الى الباب زاد قائلا : « مجنونة ! »

— ٢ —

ومنذ يوم الجنازة والصمت نخم على البيت .
وليس المراد بالصمت هنا السكون ، فان السكون
إنما هو عدم الجلبة . وأما هنا فالصمت معناه
أن الذين التزموا الصمت لا جرم في مقدورهم
الكلام إذا شاءوا . وهذا ما يقع في نفس الأب
إجناتي حين يلج غرفة زوجته فيلاقى نظرتها

ولكنه وقد آنس أن أنظارهم الى كاهله المريض
الضليع يلتصقون انحناءه تحت وقر الفادحة — لم
يأل جهدا في نصب قامته وإقامة صعدته . فكان
في تلك الساعة أقل تفكيرا في الابنة الفقيدة منه
في صيانة كرامته

فألمع كرزوف : « قس صمدت على الغمز قناته
وصاب على المعجم عوده » وكرزوف هذا نجار يدين
النفس بثمن بعض الأطار . ولقد شفع ملاحظته
بنغضة بالرأس الى جهته

وعلى هذه الحال من رباطة الجأش واستقامة
الشطاط سار الأب إجناتي الى المدفن ، وعلى هذه
الحال نفسها عاد منه ، حتى إذا كان عند باب غرفة
زوجته انحنى كاهله قليلا ، ولعل هذا راجع الى أن
ارتفاع الباب دون قامته . ولما كان قادمًا من وضج
النور لم يتبين وجه زوجته عند دخوله عليها ،
فلما أن تبينه وجدها هادئة ، وأنه لا دمع في عينيها ؛
وليس بهما نغمة ولا حزن . فهما خرساوان
صامتتان صمت ألم وعناد ، وكذلك جسمهما
البدن المترخي المرتكن الى حاجر الفراش
فسألها : والآن ، ماذا ؟ كيف حالك ؟

ولكن شفتيها خرساوان وعينيها صامتتان .
فوضع الأب إجناتي راحته على جبينها ؛ فإذا هو
خصر رطب ، ولم يبد من أولجا استبائنا أدنى دلالة
على أنها أحست لمسته . فلما أن رفع راحته عن
جبينها كانت عينا غائرتان سوداوان تشخصان اليه
دون أن يطرف لهما هذب ، وتكد تكون الحديقة
منهما كلما فاجحة بسبب تعدد انسانيهما ، ولم يكن
فيهما حزن ولا نغمة

فغمغم الأب إجناتي ، وقد بردت أطرافه
وارتعدت فرائصه : « حسن ، أما ذاهب الى غرفتي »
واجتاز قاعة الاستقبال حيث كل شيء كمنهده

في المنزل حتى ليخيل أن في الامكان سماعه . واستمرت الحال على هذا المنوال فوقر في نفس الأب اجناتى أنه يسمع الصمت .

وكان الأب اجناتى في كل صباح بعد القربان المقدس يقصد الى قاعة الجلوس فيأخذ بصره في لمحة واحدة فقص الكنادى الخاوى وسائر الأثاث في ترتيبه المهود . فيجلس في أحد المقاعد الكبيرة وبطن جفنيه ويستمع الى صمت المنزل . وكان أماً عجبا . فالقفص صامت في وداعة ولطف . والأمى والدموع والضحك الطاعن الفقيد جميعاً بأنسها الرجل في هذا الصمت . وكان صمت الزوجة مع قيام الجدران دونه لا يزال عنيداً ثقيلاً عابيه كالرصا ص - وربعاً ، ربعاً حتى ليأخذه برد القور في أشد الأيام حمارة قيط . أما الابنة فكان صمتها لا آخر له ، بارداً كالقبر ، غامضاً كالوت . ثم كان الصمت كأنما يشق بنفسه ، وكأنما يتهاف على التحول الى نطق ، لولا أن شيئاً له قوة الآلة وجودها يحسكه عن الحراك ويمده كامتداد السلك . وإذا السلك من مكان بعيد لا يعرفه على وجه التحديد يهتز ويصدر عنه صوت ناعم خافت حنون فتحفز الأب اجناتى الرغبة تشوبها الرهبة على تسقط بادرة هذا الصوت فيشد بكفيه على جانبي المقعد ويمد رأسه متسمعاً مترقباً بلوغ الصوت اليه ، ولكن الصوت ينقطع وينطوى في غمرة الصمت وهنا يهتف الأب اجناتى وقد ركب الغضب : « عبث باطل وأضقات أحلام » . وبهب من مقعده مديد الشطاط ناصب القامة كمعه على الدوام .

وكانت نافذة القاعة تشرف على ساحة السوق السابحة في ضح الشمس . والساحة مرصوفة بحجارة مصقولة الأطراف ممردة . وفي الناحية الأخرى

الشاحصة ثقبلة حتى اسكناً استحال هواء الغرفة رصاصاً يرهق رأسه وينقض ظهره . وهذا ما يقع في نفسه حين يتأمل معزف ابنته الذي انطبع عليه صورتها ، وحين يتأمل كتبها وصورتها - وهي صورة مرسومة بالألوان جاءت بها معها من يثروغراد . واقعد نحاً في نظره الى صورتها نحواً خاصاً .

فهو يتطلع أول الأمر الى جيدها حيث مسقط الضوء في الصورة فيخيل إليه أن عليه خدشاً كالذي كان على جيد فيروتشكا الميتة ، وإنه في حيرة من أمر هذا الخدش ومنشئه ، وفي كل مرة يعمل الفكر للاهتمام الى سببه وعلته . فلو أن القطار هو الذي صدمها في هذا الموضع لهشم رأسها بأكمله ، ورأس فيرا الميتة سليم كل السلامة .

أرى بعضهم داس عليها بقدمه وهم يحملون الجثة الى المنزل ، أم أنه أثر ظفر خدشها من غير قصد ؟

ولكن إطالة التفكير في تفصيل مصرعها كان يشق على الأب اجناتى وبروعه ، فيتحول عندها الى تأمل عينيها في الصورة ، وهما سوداوان بجلاوان أهدابهما الوطفاء تلقى تحتهما ظلاً وريفاً فيزداد بياض المقلتين نصوعاً وتبدو عيناها كأنما يحوطهما إطاران كالأطر السود المحالة بالحداد . وقد جعل لها الرسام المجهول - وهو لا شك من الفنانين الموهوبين - معنى غريباً يخيل الى الرائي أن بين هاتين العينين وبين ما تقمان عليه غشاء رقيقاً شفيفاً فهي تذكرنا بقطاء معزف البيانواللامع السوداء تلوه من غبار الصيف غشاوة خفيفة لا تكاد تبين ، وهي على خفافها تكمد من لآلاء الخشب المجلو . وكان الأب اجناتى حيناً وضع الصورة تتابعه عيناها غير ناطقتين بل هما أبداً صامتتان . وبان الصمت

واذ ذاك يهب الأب اجناتى من فراشه ، ويبسط يديه مضمومتين معا فى توسل وضراعة مناديا : « فيروتشكا ! » .

ولا من يجيب الا الصمت .

وفى ذات مساء قصد الأب اجناتى إلى غرفة أولجا استبائشنا زوجته بعد انقطاعه عنها زهاء أسبوع وجلس عند فراشها وهو مشيح بوجهه عن ناظرها الشاخصين الفاجعين ، وقال :

— أيتها الأم ! أريد التحدث معك عن فيروتشكا . أسمعيني ؟

ولكن ناظرها صامتان . فرفع الأب اجناتى عقيرته ، واشتد — مثل شدته مع المترفين — فى خطابها :

— أعرف أنك تعدىنى التسبب فى مصرع فيروتشكا . ولكن ، مهلاً ! أ كنت أقل منك حياءً لها ؟ إنك لغريبة الرأى — لقد كنت متشددآ ، فهل حال ذلك بينها وبين ما شئت ؟ لقد تناضبت عمالى عليها وأنا أبوها من حق الاعتبار ، فطأطأت صاغراً حين ارتحلت — غير حافلة باستئصال لعتى — إلى هناك ، وأنت — أيتها الأم — ألم تضرعى إليها باكية تناشد فيها البقاء ، حتى أمرتك أن تكفى ؟ أمستول أنا عن أنها ولدت قاسية القلب ؟ ألم أعلمها ما يبنى علمه عن الله والطاعة والحب ؟

وأتى الأب اجناتى لمحة على ناظرى زوجته الشاخصين ثم أشاح مستأنفاً :

— ماذا كنت صانماً معها وقد أوصدت دونى مغاليق صدرها وأبت الكشف لى عن شجوها . أ كنت أمرها ؟ لقد أمرتها . أ كنت أستعطفها ؟ لقد استعطفتها . ماذا ؟ أترين أنه كان على أن آخر على قدمى الصبية الخرعوب راكماً وأنتحب كالمرأة المعجوز ؟ ما الذى قام بعقلها ، ومن أين أصابها

سور حجري ممدود لا نوافذ له لأحد مخازن البضاعة . وكانت فى الركن مركبة وافقة كأنها نصَّب من الطين قائم ، وكان غير مفهوم سبب وقوفها هناك دواماً مع أن الساعات الطويلة تنقضى ولا يظهر عابر واحد فى هذه الطريق .

كان على الأب اجناتى خارج البيت أن يتحدث الى الكثيرين : مع رؤوسيه من رجال الدين ، ومع السكان فى دائرة الكنسية أثناء قيامه بفرائضه ، وأحياناً مع ممارفه يحاورهم فيها هو مأثور ومستحب . ولكنه حين يؤوب وتحتويه غرفته كان يخيل إليه أنه قضى سحابة نهاره صامتاً . وذاك لأنه ما كان ليتحدث الى واحد من هؤلاء عن المسألة التى هى عنده أم المسائل وأهمها والتى تهيج كل ليلة بلابله وتلميح خاطره : فيم ميتة فيروتشكا ؟؟

وقد أبى الأب اجناتى التسليم بينه وبين نفسه باستحالة حل هذه المعضلة ولم يزل على اعتقاده بإمكان كشفها وجلاء غامضها .

فكان يحى لياليه مسهدآ تعاوده كل ليلة ذكرى اللحظة التى وقف فيها وزوجته فى جوف الليل الى فراش فيروتشكا وهو يستعطفها ويسوق اليها الرجاء أن « تكلمى ! » . فاذا بلغت به الذكرى الى هذه الكلمة تمثلت له بقية المشهد على خلاف ما وقع . واقد حفظت عيناها المنمضتان فى ظلامهما صورة حية لا لبس بها من تلك الليلة ، فهما تتمثلان فى جلاء فيروتشكا تستوفز فى فراشها وتقول مبتسمة ...

ولكن ماذا قالت ؟

إن تلك الكلمة التى لم تلفظها ، والتى بها جلاء المعضلة كلها ، تلك الكلمة تتخيل له قريية ، جد دانية . فلو أنه يرهف سمعه ويسكت خفقان قلبه ، إذن — إذن لسمعها على أنها كانت فى الوقت نفسه نازحة نائية بلا حد ولا أمل .

انبعثت من الألواح المسكتسية بها الجدران ومن
الأناث وسائر ما بالغرفة ربح كريح العطن والأحلال
وكانت الفمراء تتخلل زجاج النافذة وتنسبط
على أرض الغرفة كشرائط وضاء ، وكانت الناضد
بطلائها الأبيض الناصع تمكسها فينير أركان الغرفة
منها نور كليل شمساني . ويبدو الفراش الأبيض
النظيف وعاليه وسادتان كبيرى وصغرى كأنه شبح
من عالم الأطياف . وفتح الأب إجناتى النافذة
فاندفع الى داخل الغرفة تيار من الهواء النقي ،
يستروح السائف فى أردانه تراب النهر المجاور وعبق
الزيفونة الزهرة ، ويحمل الى التسمع المصنى نشيداً
خفيفاً لعله لقوم فى قارب على النهر يجدفون ، وفى
تجديفهم ينشدون

وخطا الأب إجناتى عارى القدمين كأنه الطيف
لا يحدث صوتاً ، ودنا من الفراش الخاوى وخرّ
مكباً على وجهه فوق الوسائد بضمها — حيث
لا محالة كانت تضع فيروتشكا وجهها

وظل على هذه الحال طويلاً . وتعالى النشيد فى
الخارج ، ثم أخذ ينخفض حتى لم يمد مسموعاً ،
والأب إجناتى لا يزال فى مكانه ، وشعره المرسل
مشعث مهدل على كتفيه وعلى الفراش

ودلف القمر فى مسراه ، فأظلمت الغرفة
واحلواكت ، ورفع الأب إجناتى رأسه ونادى
بصوت أفرغ فيه كل حبه الذى أطال كبتة وكظمه
بلايث ولا تصريح . وكان وهو ينادى بنصت
لما يقول ، وكأن النصت ليس هو وإنما هى فيرا
— فيرا ، يا ابنتى ! أتدركين معنى ابنتى ؟

يا بنيتى ! مهجتي ! دى ! حياتى !

هذا أبوك ، أبوك الشيخ المسكين وقد علاه
الشيب وخذلاته القوى
وانفض منكباه وسرت الرجفة فى جثمانه

ما أصابها ، لست أدرى . يا لها ابنة عاقلة لاقلب لها !
ودق الأب إجناتى على ركبتيه بجمع يديه
— لقد تجردت من الحب — هو ذاك . وأنا
على علم بما كانت تصفنى به : مستبد غشوم . وأنت
كانت تحبك ، أليس كذلك ؟ أنت التى بكيت ،
و ... تدلت ؟

وضحك الأب إجناتى ضحكة خافتة
— تحبك ! بلى والله ، وترويحاً عنك لقد
اختارت هذه الميئة مبيئة شنيعة شائنة ! فانت على
القشخص والحصى المفروشة به السكة الحديدية ،
ماتت على الأقدار — كالكلاب جدلته رفقة
بالذهل على خطمه

ونغمم الأب إجناتى بصوت هامس أبح :
— ما أشد خزي ! إنه ليتولانى الخرى إذا
خرجت الى الطريق ! ليتولانى إذا خرجت من
الحراب ، ليتولانى أمام الله ! ياللاك ابنة قاسية خسيصة !
إنك لتستحقين اللعنة فى قبرك

وأتى الأب إجناتى على زوجته نظرة ثانية ،
فاذا هى مغشى عليها ، ولم تفق من غشيتها إلا بعد
ساعات . ولما أفاقت كانت عيناها صاممتين ليس
فيهما ما يدل على أنها فقحت مقال الأب إجناتى لها
أو لم تفقه منه شيئاً

وفى تلك الليلة ، وكانت من ليالى تموز مقمرة
ساجية دافئة يخيم السكون عليها ، قام الأب إجناتى
يدب على أطراف قدميه حتى لا تسمعه الزوجة
ولا ممرضتها ، وصعد السلم إلى غرفة فيروتشكا .
وكانت نافذتها من عهد وفاة ابنته لم تفتح فكان فى
جوها حرارة وجفاف تشوبهما رائحة احتراق
خفيفة من حديد السقف المستهدف طوال النهار
لوقدة الشمس . وكان إحساس الوحشة والأقواء
نجماً على الغرفة التى طالت غيبة الانسان عنها ، وقد

— تكلمى :

فكان جوابه الصمت

في اليوم التالي تناول الأب إجناتى غداءه على انفراد مبكراً ، ثم أخذ سمته إلى المدفن لأول مرة بمد وفاة ابنته . وكان المدفن موصداً مـجوراً لا تحس فيه نامة ، حتى لكان النهار القاطظ في هدوئه ليلة مشمسة . على أن الأب إجناتى كدأه نصب قائمته مجاهداً ، وأدار بصره من جانب لآخر بحفوة وصرامة ، وهو يزعم أنه كمهده بنفسه . ولم يقطن إلى التخاذل الطارئ الفظيع بفت في ساقبه وإلى لحيته المسترسلة قد اشتعلت شديداً كأنما أصابها صقيع هتون . وكانت الطريق الى المدفن طويلة مستقيمة آخذة في ارتفاع لطيف الرنق ، وفي نهايتها باب المدفن من خشب الزيفون بظلمة سقف أبيض ملتصع ، فكانه فم مغمور الشدقين على الدوام محلولك وعلى حافته أنياب قواطع لوامع

وكان قبر فيرا موعلاً في جوف المدفن بعد نهاية الممرات المغروشة بالحصباء . فكان على الأب إجناتى أن يحوس طويلاً في مسالك ضيقة على محاذة الكتيبان المترجة النائمة بين حشائش مهمة مهجورة من الجميع منسية . وكان يلتقي هنا وهناك بنصب متداعية ، لوها حائل مخضر من القدم ، وحواجز منهارة منهمة ، وصفائح من الحجارة ثقلا ضخام ملقاة تهبط صدر الثرى كان بها عليه حقداً كعد الشيوخ بأسرا متجهما

وعلى مقربة من إحدى هذه الصفائح ، كان قبر فيرا . وكان المدر المشوش عليه مصفراً ذابلاً على حدائه عهده في حين كل ما حوله يانع ناضر . وكانت هناك دوحتان متشابكتان ، وخيلة ممتدة من شجيرات البندق وارقة الظلال تبسط أفنانها المتأودة بأوراقها المخشوشة الوبراء على القبر

الضليع من فرعه إلى أخمصه . ثم همس منهجاً في لبن وترفق كأنما ينادي طفلة :

— أبوك الشيخ المسكين يسألك . نعم يا فيرا إنه يستدطفك ، إنه ليبيكى ، ولم يكن من شأنه البكاء قط ، إن أملك يابيتى ولوعتك ، يحزان في نفسي كما لو كانا بي . بل أشد وأنكى

وهز الأب إجناتى رأسه :

— أشد وأنكى ، يا فيرا . وما الموت عندي ، أما الشيخ ؟ ولكن أنت ..

آه لو علمت ما كان من رقتك ، ولطافة بنيتك ومبلغ إشفافك وتهيبك !

أذكرين إذ وخزت أصبعك ونضح منها الدم فطفت تصرخين . نعم يا بنيتى !

وكنيت تحبيننى حقاً ، وتشغفين بي حبا ، أعلم ذلك . وكنيت في كل صباح تقباين يدي . تكلمى عن هذا الذى يحزنك — فأتى بهاتين اليدين خائى حزنك . إنهما ما برحنا قويتين ، هاتين اليدين ، يا فيرا

واهترت خصائل شممه

— تكلمى :

وشخص بعينيه إلى الحائط ، وبسط يديه ، وصاح :

— تكلمى !

ولكن الغرفة صامتة . ثم طرقها على بعد سحيق أصداء مديدة ومقتضبة من صفير قاطرة عابرة فأدار الأب إجناتى عينين اتسع حلافهما كأن قد تمثل له شبح الجثة مبتورة الاشلاء . ثم نهض من ركوعه على مهل متسانداً ، ورفع إلى رأسه بحركة المذهول يداً مشنجة منفرجة الأشاجع ممدودة الأصابع . ومضى الأب إجناتى إلى الباب ، وفي خروجه همس في حدة :

وزناع من رهبة صمتهم وبرده ، كل هؤلاء
أيضاً يقومون

وخلع الأب إجناتى قبعته السوداء المربضة
الحاشية ، ومسح بيده على ذوائبه المشعثة ، وهمس
منادياً :

— فيرا !

وأخذ القلق أن يكون يسمع منه عريب .
فاعلى الصريح وتطلع من فوق الصليبان . فلم يكن
على القرب أحد ، فأعاد النداء رافعاً صوته :

— فيرا !

وكان صوته صوت الأب إجناتى المهود من
قديم حافاً آمراً ، وكان عجيباً أن نداء بهذه القوة
يبقى بغير جواب :

— فيرا !

ومضى الصوت ينادى عالياً ماجاً ، ولما أن
سكت لحظة ، خُيل إليه أن جواباً غامضاً دوَّى
من تحت أطباق الترى . فتلفت الأب إجناتى
حواليه مرة ثانية ، ورفع مسترسل لته عن أذنيه
والصقهما على المدر المخشوشن الشائك فوق القبر ،
ونادى :

— فيرا ! تسكلمي !

فأحس الأب إجناتى في فزع أن شيئاً له برودة
القبر قد نفذ الى أذنه وجد له عقله ، وأن فيرا
تسكمت — ولكن كلامها هو ذلك الصمت
الطويل نفسه ، وظل يزداد الصمت روعة وهولاً .
ولما أن رفع الأب إجناتى رأسه من الأرض
بجاهداً ، ووجهه شاحب كوجه الميت ، خيل إليه
أن الهواء يهتز وينبض بصمت مرنان ، كأن ريحاً
صرصرأ تارت على ذاك العيلم المخوف ، وأن الصمت
ليزحق أنفاسه ويخنقه ، ولا تزال موجاته الثالجية
متقلبة في رأسه جيئة وذهاباً فيقف لها شمره

يجلس الأب إجناتى على صريح نجاء ضريح
ابنته وهو يقنهد بين القنبلة والأخرى . وجمل
يتلفت حواليه ، وألقى نظرة على صحراء السماء
الصفافية ، وكان قرص الشمس المتقدم معلقاً في مكانه
جامداً بغير حراك . وعندها فقط أحست في نفسه
عمق ذلك السكون الذى لا سكون مثله يخيم
على مدفن ، والريح هاملة لا تهفو لها نسمة تعيث
بالأوراق الجافة الميتة . وقام في خاطر الأب إجناتى
مرة أخرى أن هذا ليس بالسكون ولكنه الصمت ،
وقاض الصمت وطم حتى بلغ أسوار المدفن نفسها
وتسورها متتافلاً وعمر المدينة . وأما آخره فهناك
في هاتين العينين السوداوين الشاخصتين المصرتين
في تعنت وعناد على الصمت

هز الأب إجناتى كتفيه ، وقد سرت البرودة
فيهما . وسرح نظره على قبر فيرا . وطال تأمله
لميدان الحشائش القصيرة المصوحة وقد صار
انتراعها من مناسبتها في بعض الرياض الفيحاء
الضاحية فلم يهياً لها نأصل ولا ترعرع في هذه
القرية الجديدة . واقعد عز على الأب إجناتى إقناع
نفسه بأن هنا تحت هذه الحشائش على بعد بضعة
أشبار منه ترقد فيرا ، وبداله أن تدانى الشقة الى
هذا الحد أمر غير معقول ، وإنه ليخامر نفسه منه
حيرة وتوجس غريب . إذ كيف أن هذه التي تعود
التفكير فيها على أنها طويت في ظلام الأبدية
السحيقة طلى الأبد تكون هنا قريبة ! وكيف بمقل
مع هذا أنها تلاشت من الوجود ولن تعود !

وخيل إلى الأب إجناتى أنه لو نبس بكلمة ،
بالكلمة التي يكاد يحسها على شفثيه ، أو أنه لو أوماً
بإشارته ، لأقبلت عليه من القبر ، ووقفت أمامه
ممشوقة القد جميلة كعهده بها ، ثم إنها لا تقوم
وحددها ، بل إن الموتى أجمعين الذين نحس بهم

من ملافاة هذا الرجل طالما عليك بمنظرة الأشعث
الآبد، راكضا، واثبا، ملوحا بذراعيه - حين
تتبين وجهه ممسوخ السحنة مجنونها، وتسمع
حشرجة أنفاسه تتدافع بصوت أجش من فم المغفور
وانتهى الأب اجنأتى وهو فى أقصى سرعته
الى الرحبة الصغيرة التى تقوم فى آخرها كنيسة
المدفن متظامنة مخصصة. وكان على مقعد طويل عند
مدخلها شيخ مهوم بلوح كالحاج من بعيد، وإلى
مقربة منه امرأتان عجوزان من المتسولات فى شجار
وصيال تشاحنان وتبهاهلان

ولما بلغ الأب اجنأتى منزله، كان الليل قد دجا
والمصباح قد أخرج فى غرفة أولجا استبانفنا، فأقبل
عليها دون أن يبدل ثيابه أو ينزع قبعته الممزقة
المتربة وترأى على أقدام زوجته راكما وانتحب :
- أيتها الأم - أولجا - رحماك رقى لحالى
أ كاد أفقد صوابى

وصدم بحافة المائدة رأسه وانتحب نحيبا
صاخبا وجيما، شأن الكظيم ينتحب لأول مرة؛
ثم رفع رأسه على يقين من أنه بعد قليل تظهر
المعجزة فتتسكلم زوجته وترق لحاله

- يا زوجتى العزيزة

وتهاقت بكل جسمه الضخم ضارعا اليها
مستطفا إياها. فالتقى بالنظرة الشاحصة من عينيها
السوداوين. ولم يكن فيهما رحمة ولا نعمة. ربما
تكون زوجته قد صفحت عنه وورقت لحاله، ولكن
عينيها لا رحمة فيهما ولا مغفرة. اتبها على حالها
خرساوان صامتتان

والبيت كله فى وحشة صامت

عبد الرحمن صدى

أشعث مستطاراً، ولا تزال منكسرة على صدره
فيثن ويتأوه من وقع صدماتها. ولقد ظل مرتمد
الفرائص يقلب ألحاظاً عصبية خاطفة من ناحية
أخرى، ثم قام متحاملاً فى انشاد وبطء، وعانى
أشد الجهد وأنكاه ليرفع قامته ويرد الى بدنه
المرتجف مشية الكبرياء المهددة، وقد أفلح بعد
لأى، وأخذ ينفذ التراب عن ركبتيه متمهلاً
متروياً، ولبس القبعة، ورسم إشارة الصليب ثلاثا
على القبر، ثم داف بخطوات متساوية ثابتة، غير
أن طرق المدفن ومعالمه اختلطت عليه فضل السبيل
فوقف عند مفترق السالك جامدا فى مكانه
بضحك :

- ضللت السبيل !

وطالت وقفته برهة ثم عرج من غير تفكير
الى اليسار. وذلك أنه ما كان ليطبق الوقوف هنا
جامدا ينتظر. ونبمه الصمت على الأثر. وهذا هو
الصمت يخرج من اللجود المشوشة، وتتنفس
عنه الصليبان الداكنة المتجهمة، ويتصاعد نفحات
دقيقة خائقة من مسام الأرض النشمية جثثا ورماما
والأب اجنأتى يضاعف خطاه مسرعاً، وقد سدر
بصره وذهل عن نفسه، فهو يطوف بالمسالك بعينها
المرّة بعد الأخرى، واثبا فوق القبور، متمسكاً
بالحواجز، يهوى بكفه على الأكاليل من الصفيح
شائكة فيتمزق قماشها الرقيق الناعم فى يديه. ولقد
ذهل عن كل تفكير الا فكرة واحدة وهى الخروج
من هذا المكان. فاندفع من ناحية الى أخرى،
وأخيراً انطلق يمدو فى سكون، شبحا مديد القامة
لا تكاد تترفع فى برنسه الخافق وراءه، وشعره
التمهل المرسل فى الهواء

وان رؤية ميت قائم من القبر لأخف هولاً



فالحب والاطمئنان بغير ان قلبينا وحياتنا . وأنت
ياسيدار : أنت فينوس هرروزا ؛ أنت ترائي
وأنت ملكتي ... »

وفي صباح يوم من أيام الشتاء ، أحس إيليا
وهو في مكانه من حجرة الانتظار ، حيث يجلس
دائماً ؛ أحس أن يدأ قوية تجذبه في عذف ، وسمع صوتاً
خشناً يناديه : « أسرع : لقد كنت في (تيرا نوفا)
وعمك هناك بعالج مرضاً خطراً ... » هذا صوت
سائق ينهيه إلى أسر ، ولكنه ما كان ليلسبه بمض
هدوئه . لقد أرسل أنه خفيفة خافئة ، ثم قال يحدث
نفسه : « سأشر هذا الخبر المحزن على عيني زوجتي »
لم تضطرب الزوجة لما سمعت ، ولم تحزن ، ولم
تفرع من مكانها وهي جالسة أمام باب الدار تلمس
الدفء من أشعة الشمس ، وقد ارتدت خير
ملابسها ، وانتعشت ، ورتبت شعرها في دقة وأناقة ؛
غير أن ملابسها وحذاءها وقد عبت بها يد البلى ،
ووجهها وقد شحبت وتغضن وذوى جماله ، وعينها
وها تضطربان وقد خبا ضوءها وانطفأ بريقهما ؛ كانت
كلها ترسم سطوراً واضحة في تاريخ فاقتهما وعوزها
ومن أقصى المكان ارتفعت نغمة تشبه ما يسمعه
إيليا دائماً في المحكمة : فهؤلاء أصحاب الدار
يتنازعون فيما بينهم أمراً ؛ وهذا الندى — وهو
جزء من الدار — قد ضم جماعة يلعبون الورق
ويعزحون في نغمة وصحب ؛ والزوجة لا يمتنها

ضائق سبل الحياة بالفتي إيليا كراي فهو لا يجد
عملاً ، وهو لا يدري كيف يزجي هذا الفراغ العريض
الذي وقع فيه على حين فجأة ، إلا أن يقضي شطراً
من نهاره في حجرة الانتظار بالمحكمة ، واضعاً
كراسه على ركبته يثبت فيها ما توافيه به قريحته
من أشمار يتاجى بها زوجته الحبيبة . لقد كان
الضجيج يملو بازائه والجوع تتقاطر من هنا ومن
هناك : فقيرات النساء يتخاصمن على دربهات ضئيلة
كانما يتنازعن أقطار الأرض جريماً ؛ وقائلو الزور
يسرون في هدوء وأناة يبتغون شيئاً ؛ وصغار الحمامين
يبتغون هذا وهذا بفتشون عن صيد جديد ؛ هذا
وإيليا جالس في هدوئه ، في زاوية الحجرة ، يكتب
إلى زوجته بعض الشعر وكأنه لا يحس مما حوله شيئاً :
« أنا أستطيع أن أرى الحياة بعيني عقلي ،
فكل ما يدور في العالم مقدر قبل أن يكون . أما
شاعر وفيلسوف ، فليس شيء في الحياة يثير في
الدهشة لأنني أعلم أن الأيام تملو بالمرء مرة وتسفل
به أخرى . لا تقنطلي — يا عزيزتي — فلربما تذكرينا
عمى أغسطينو ... أغسطينو الذي طرد زوجته
وحرمها ماله ؛ لعله يذكركنا يوماً فنذهب إلى شاطئ
البحر معاً ، نشهد القوارب تضطرب بين الأمواج
الهائجة ، ونحن نسير ذراعاً في ذراع كأننا عروسان
في شهر العسل . على أننا — الآن — سعيديان ،

ملحوظة : كتبت هذه القصة بقلم الكاتبة الإيطالية
جرازيا ديليدا ، وقد أخطأ الخطاط جعلها الكاتب

فالشمس تتألق كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية في رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نسبات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو في طريقه تراءت له الزهور الرقانة — زهور الربيع الجميلة — تنفث من عطرها الشدي في روحه النشاط ، وتذكى في أعصابه القوة ؛ ثم ... ثم انحدرت الشمس الى مغربها ، فاستحالت حرارتها النعشة الى برد قارس تحمله نسبات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تتنديان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخائنه رزائته الفلسفية حين بدا لعينيه أنه لا يستطيع أن يصالح حذاءه أو أن يجد غيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء الممزق معاً . وتمثل له ما يلاقيه من مهانة واحتقار حين يبدو في دار عمه رث الملابس ، زرى الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وعار زوجته حين يلج دار عمه في مثل حذاءه . لا بد أن يجد حذاء ؛ ولكن كيف ؟ إنه هو لا يدرى ... وبعد فترة كان يسير في شوارع القرية المهجورة المظلمة الندية وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفي ناحية من ساحة فندق هناك صغير يشع نوراً ذهبياً قوياً جذب إيليا اليه جذب إيليا ليلته في حجرة قذرة ، حيث ينام عاملان فقيران ؛ وقد كان غطيظ أحدهما يستأجر إيليا من أفكاره ومن نومه معاً . استلقى الرجل على فراشه وما في رأسه غير صورة نعل جديد تراءى له أينما هفا خياله ؛ في الشارع ، في الحقل ، في زاوية الحجرة ، في صندوق في الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تحور أحياناً الى أخرى بالية تنم عن الفقر والفاقة ... وظل إيليا تفرعه الريح العاصفة ، والنظيظ المدوئى في أرجاء الحجرة ؛ والساعات تمر . وتعاق

ما يدور حولها . أما هو — هو إيليا — الزوج العاشق فقد وقف بلازاء زوجته يداعب شعرها في رفق وتحبب ويقول : « أفتعلمين ما أنا صانع ؟ سأذهب ... » قالت الزوجة : « إلى أين ؟ » قال : « إلى أين ؟ لعلك لم تمي شيئاً مما قلت ؛ إلى عمى أغسطينو طبعاً ؛ ما أجل ما أرى في هذا اليوم ... ! » قالها وقد كتم في نفسه أموراً استشعرتها الزوجة المسكيننة فراحت تحديق في حذاءه الممزق مرقاً أعيت على الاسكاف ، ثم قالت : « وأين لك بالمسال تستمين به على السفر ؟ » قال الزوج في ثبات : « إن ممي ما يكفيني ، لا يشغلك هذا . إن كل ما في الكون يلد الحياة والجمال لو أن في النفس الهدوء والدعة . إن ما بهم المرء حقاً هو أن يحب الناس ويحسن معاملتهم . لقد شغلني هذا كل ساعات الصباح ... أفتريدين أن أقرأى ؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها في حجرها وهو يهيم ... ثم انطلق وما خالف من شيء سوى هذه القصاصة ...

انطاني ماشياً لأنه لا يملك سوى ثلاث ايرات ؛ وكانت فلسفته قد أوحى إليه ألا يتخبط بين هذا وهذا ، يقترض ، فيضيع وقته فيما لا غناء فيه ... هذا نوع من الرياضة تعود منذ زمان ؛ وما كان اشيء ما أن ينزع عنه رزائته أو يحول بينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو ، وهو رجل سسيار . لقد سار في نشاط وخوابره معاقة بحذاءه دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق ..

بلغ إيليا (أوروسى) — وهى قرية في طريقه — ولم يحدث ما يعكر صفوه ؛ فالطريق ممهد لاجب ، والطبيعة جميلة تحنو عليه لتنسيه بعض متاعبه . لقد كانت رحلة ممتعة ، في ناحية من الأرض سحرية ،

بصره بنجم يتألق في السماء كأنه يسبح بين أمواج البحر المضطربة ؛ وخياله عند زوجته وهو جالس اليها ينشر على عينيها بعض أشعاره الرقيقة الطالية ، وعند الحياة الناعمة التي يحياها الى جانبها لو ظفر عما يملك عمه ...

وانتفض الرجل من فراشه بعد لأي وهو يضطرب ، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يلبسه فوجده ثقيلاً واسمافتركة الى حذاء الرجل الآخر ؛ غير أنه لم يجد شيئاً ، وطن في مسمعيه صوت أقدام تدب خارج الحجرة فاضطرب ووقف في مكانه وقد سيطر عليه الحزن والفزع ؛ وبدت له خسته حزن ... حزن حزن القلب يستشعر الخطر المحقق ؛ وحين انحنى الصوت دافع هو إلى الخارج ليرى ... ليرى الردهة خالية الا من يصيص من نور ، وإلا من قطعة تحك جسمها في الجدار ، والا من حذاء بازاء القطة ، بدا في عيني الرجل جيلاً ... فانطلق إليه يخبئه في ثنانيا معطفه ، ثم اندفع الى الشارع في هدأة الليل وسكونه . لقد غادر الفندق لم يشمر به أحد ، ثم أسرع ... وتراءى له وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء تتساقط رويداً رويداً لتغمر في هذه اللجة ، فقال : « يا هجيا : أكل شيء في الطبيعة والأنسان يريد أن يهد ... ؟ » وظل يحدث نفسه هذا الحديث وهو يحب في الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الداكن ومضت نصف ساعة جالس بعدها ليلابس الحذاء السروق . لقد بدا عليه السرور والفرح — بادي الأمر — غير أنه مالبث أن استشعر الحسرة تفجؤه وتكاد تعصف به ، فراح يحدث نفسه : « ماذا يكون لو أنهم تبعوني ؟ سيقفلوني لاشك . ماذا تقول زوجتي إذن ؟ ستقول : ماذا صنعت يا إيليا ؟ أفتسرق حذاء ؟ أي فرق بينك وبين من

يسرق مايون ليرة ، أيها السارق ؟ واضطربت الفكرة في رأسه : « مايون ليرة : أين هي ؟ أين أجدها ؟ لو وجدتها لاختطفتمها لأنى ولا أنباطاً ... » ثم تغطى وهو يبتسم لهذه الحاطرة ، ومد رجله وحرك أصابعه في الحذاء الجديد . يا عجيباً ! لقد رانت على نفسه سحابة سوداء من السكابة مرة أخرى ، وشعر بقدميه تتقدان ، وبأصابعه تختلج كأنها تنفر من هذا الحذاء السروق : لقد سار في طريقه متكسلاً ، ومتأبطاً حذاءه ليستطيع أن يلبسه إذا تبعه أحد ؛ ثم اضطرب وتوزعت الأفكار السود ؛ فهو يلتفت الى وراء بين الفينة والفينة ليرى من عساه يتبعه ... وانثنى الفجر كأنه شيطان مارد يحده بهيتين فيهما البغض والازدراء ؛ يطل عليه وقد قنعتة سحابة دكناء من الضباب ليبعث في نفسه الفزع والرعب ، وينذره بالفضيحة والويل ؛ وهؤلاء الناس — عما قريب — ينسلون الى القرية ، مارين به ، وحين يسمعون قصة الحذاء السروق يقول قائلهم : « نعم ، لقد رأينا رجلاً هناك يسير مضطرباً ، وقد تأبط حزمة يخبئها تحت معطفه ... » .

ورأى — وهو يسير — فلاحاً يسير الهوينى ، في طريقه الى القرية ، فخيّل اليه أنه يحدث فيه ، وابتغى اليه بين الحين والحين وعلى شففيه ابتسامة السخرية والتهكم

ثم ... ثم انحسر الظلام عن نهاري حزين كالخ ؛ وقد نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل الشاهق والبحر المضطرب ؛ والغربان تمر به وهي تنعق نعيهما الشثوم ؛ وقد انطوى الجمال الذي أحسه بالأمس في هذه الناحية ؛ وبدت له الحياة عابسة تبعث في النفس الألم والضيق ، ودوت في في أذنيه أصوات تفرعه من مكانه لأنه رأى فيها

يوماً كاملاً لا يطعم شيئاً ، فأحس بأعصابه تتراخي ومشى الهوينى بترشح كأنه عود ذائب تمصّف به الرياح الهوج ، وولج الفندق ثانية وكأنه في حلم ، وعلى شفّيته كلمة الاعتراف ؛ غير أنه وجد المسكان هادئاً كأن شيئاً ذابال لم يكن ، ومرفأ تعلق به بعصر ، ولم تحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه في لجة من النوم العميق الهادئ ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالي . وحين هم من مرقده اشترى رغيفاً بما بقي معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو في ناظري إيليا — مرة أخرى — جميلاً ، والوادي كأنه يبسم في رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبث منة القوة والنشوة ، وهو يندفع في سيره بفور نشاط. أوحياة على رغم هذا الحذاء الممزق الذي تموج فيه قدماء ، وهو — هو هذا الحذاء — كان يوقظ الرحمة والشفقة في قلوب الذين يرونه فيمنحونه بعض الخبز واللبن يتباع بهما

وباع دار عمه وقد أجهد المسير وأضناه التعب ، ولكن الأمل كان يشرق في عينيه فيسدفعه الى الأمام ... لقد مات عمه منذ ساعات قليلة ، وراحت الخادم تنظر اليه في دهشة وهي تمجّب : « أنت ابن أخيه حقاً ؟ لماذا لم تسرع الى هنا ؟ » ولكنه وقف صامتاً ، فاندفعت هي تقول : « لقد أرسل اليك منذ ثلاثة أيام وأنتظر ... أنتظر طويلاً وهو يذكرك ، ثم بدا له أنك نسيتَه ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يقصم عوده أوصى بكل ما يملك الى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا الى داره يحمل الى زوجته الحبيبة الى نفسه خيبة الرجاء وضيعة الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئاً ...

كامل محمود حبيب

أصوات الذين من خلفه يقصسون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القديم الممزق بالحذاء الذي مرّقه ، وألقى به في ناحية ثم انطلق ...

لقد ألقى بعض همّه حين ألقى الحذاء المسروق ، ولكنه ما زال في اضطرابه ، وخياله ما يفتأ بصوره أشياء : فهذان العاملان اللذان قضى معهما ليلته ، على أثره يطلبانه بمد أن وجدا الحذاء الملقى ... سيُلبّيهما ثم يدفعان به إلى المحكمة ، وهناك ... وهناك ... ؛ وتراعى له جماعة يمدّبونه ويمدّبونه حتى يعترف ...

ماذا تقول زوجته حين يترامى إليها الخبز ؟ وتأججت الفكرة برأسه يؤثرها الاجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تتنازعه الخواطر المظلمة كما تتناوح الرياح الشديدة الماصفة - حجاب في كبد السماء ؛ ورجع إلى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام في هذه التناهة ، بضرب في الأرض ، ويفقد الراحة والطمأنينة في وقت ممّا ؛ ثم هو لا بطاب إلا مراباً أو أملاً كالسرّاب ، ومن يدري ؟ لعله لا يستطيع أن يأتي بالحجة القاطمة تثبت بها أن أغسطينو هو عمه ... ورغم هذا فهو قد ألصق بنفسه عاراً لا يفسل .

نكص الرجل على عقبيه ممتلخ العقل ، مأخوذ اللب ، يحدق في الحذاء الملقى في ذهول وبلاهة ، أقبواريه التراب ؟ إنه إن فعل فما غير من الحقيقة التي في رأسه ؛ أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وتردد إيليا حيناً ، ثم هوى إلى الحذاء يخفيه تحت طيات معطفه ، وارتد إلى القرية لا يستطيع أن يهبطها إلا أن يسدل الليل أستاره ، لقد غير

وتفقر الشوارع من كل عابر
وكنيت لا أزال أنا لم من جرحى

مِنْ أَعْمَاقِ النَفُوسِ



اِسْتَفَانْتُ فِي الْعَصْرِ

لِلْفَرِيدِ مَوْسِيَه

بِقَلَمِ الْأَسْتَاذِ فُلَيْكسَ وَنَارِسَ

(تابع)

الفصل الخامس

وعندما رأى ديجنه أن لا دواء لياسى وأنى
أرد كل نصح وأقبح فى دارى أدرك خطورة الموقف
فجاءنى فى إحدى الليالى ودلائل الاهتمام بادية على
وجهه فذكر عشيقتى بلهجة الزدرى ، وأمرف
فى التقرب بوجهه إلى كل امرأة مجاريا حوافز عقيدته ؛
وكنيت منظرها على فراشى فجلست وأسندت رأسى
إلى كفى وأصغيت بكل انتباه لأقواله

وكانت ليلة ، بدأت تهب فيها الرياح فتسمعك
أنين المدنفين ، وكان المطر يضرب برشاشه زجاج
النوافذ ثم ينقطع فجأة فتحبس الطبيعة قد فقدت
الحياة فى فترات السكون

فى مثل هذه الساعات يحكم الألم جميع البكائنات
فتهتز الأشجار كأنها تتلوى فى أوجاعها وتحنى
رؤوسها حزينة عاجزة وتهرع أطيار الحقول إلى
سفيرات الأشجار متراحة على الملجأ الأمين

لقد كان لى بالأمس حبيبة وكان لى صديق ،
نخاتنى الحبيبة وصرعنى الصديق فألقانى على فراش ،
الأوجاع ، فأصبحت وفى رأسى من الاضطراب ما لا
أهتدى معه إلى حقيقة حالى ، فكنت أحسب أن
ما صر بى لم يكن سوى حلم صرّوع وأنى سأجد
سمادنى المفقودة إذا ما فتحت عيني لأنوار الصباح ،
ثم أعود فأرى حياتى بأسرها حلماً طائشاً ساخراً
بتكشف لى بغتة عما استتر فيه من خداع وأكاذيب
وكان ديجنه جالساً على مقربة منى وقد أمارت
أشعة الصباح وجهه فلاححت أمارات الجد عابه
بالرغم من استمراره على الابتسام كمادته

وما كان ديجنه بالرغم من صلابته وجوده إلا
الرجل المحاص المطاوف ؛ غير أن الاختبار كان قد
نال منه وأسقطت الحادثات طرته ، وما جهل هذا
الصديق الحياة فانه خبرها وأسالت كثيراً من
دموعه ؛ غير أنه ادرع الصبر فاستحجرت آلامه
وبات يتوقع الموت
وقال ديجنه :

— إننى وقد نفذت ما انطوت عليه سريرتك
أراك تمتد بالحب كما تصوره القصصيون والشعراء
فأنت إذن تصدق ما يقال لا ما يقع فى هذه الحياة .
لقد ضللت السبيل السوى فى تفكيرك ، فان أمنت
فى السير وفقت بوجهك المصائب والويلات
وهل يصور الشعراء الحب إلا كما يجسم النحاتون
الجمال ، وكما يمدع الموسيقيون الأنغام ؟
إن أبواب الفنون وقد دقت أعصاهم ووهبوا

عقلك لشمورك أن تتصور ماهية الانهيار ؟ أم يمكنك أن تدرك ما لا يحمد وأنت ولدت في الأرض وغداً ستموت ؟

لقد جنّ الكثيرون في كل أنحاء العالم أمام هذا المدي الفسيح ، وما نشأت الأديان إلا من الاستغراق في التفكير في أسرارهِ . ما قطع كاتون عنقه ، وما استسلم المسيحيون الأسود والبروتستانت للكاثوليك إلا لأدراك المطلق المتعالى عن كل حصر وتحديد

إن جميع شعوب الأرض يستطيعون ألا كف نحو هذا المدي الفسيح قاصدين الارتقاء إليه . وفقد الرشيد بطمح إلى امتلاك السماء ، أما العاقل فيكتفي بالاعجاب والخشوع ويرتقى جثياً على ركبتيه كالحمار جهاج شوقه

إذا كان فسيح المدي يمجز إدراكنا فكيف نتوسل به إلى نيل الكمال وقد حتم علينا ألا نتجه إليه في أى شئ . وألا نتطلبه من أى شئ . ، لا في المحبة ولا في الجمال ولا في السعادة ولا في الفضيلة ، ولكننا مع ذلك ملزمون أن نتوق إليه لنبلغ في المحبة والجمال والسعادة ما يمكن لنا أن نناله افترض ، يا أوكثاف ، أن في غرفتك لوحة

من ريشة رفائيل ، لوحة تحسبها سالمة من كل عيب ، فاقتربت منها يوماً مدققاً فيها فوجدت في رسم أحد أشخاصها خطأ فاضحاً كمضو مكسور أو عضلة نافرة من مركزها الطبيعي — كما يقال عن إحدى العضلات في ساعد مصارع — فانك تشعر بالكدر ولا ريب ، ولكنك لا ترى بلوحتك إلى لهيب الموقد من أجل هذا العيب بل تسكت في بأن

الحس الرفيف يختارون أنقى عناصر الحياة وأبدع رسوم المادة وأروع ما في الطبيعة من نبرات

قبل إنه كان في أئتنا عدد كبير من الغانيات الغائيات فعمد براكتيل إلى تصويرهن الواحدة بعد الأخرى ، ثم استعرض مجموعته مستبهماً عيوبها ومستنبطاً منها مثلاً كاملاً جامعاً المحاسن على أنواعها هو رسم الزهرة آلهة الجمال

وعلى هذه الوثيرة جرى أول إنسان أوجد آلة الموسيقى مقررأقواعدها وأحوالها ، فانه ما وضع الأنغام إلا بعد أن تنصت طويلاً إلى تغريد اليلابل وحفيف الغصون

وهكذا أوجد الشعراء أيضاً الأسماء السرية التي صرت على شفاه البشر من جيل إلى جيل ، كدفنيس وكابويه وهيرو ولياندر وبيرام وتيسبيه تلك أسماء لم يبدعها الشعراء إلا بعد أن ابتلوا الحياة وعرفوا من المحبة سرورها وبطونها في الزوال ، وبعد أن شهدوا إلى أية درجة من الهوس يبلغ الهيام أحياناً منقياً الطبيعة البشرية من أدرانها

فاذا أنت فتشت في الواقع عن مثل هذا الحب المطلق الثابت فكأنك تغتش في ميادين الجماهير عن نساء يضارعن الزهرة في روعة جمالها ، أو كأنك تكاف بلبلاً إنشاد أجل مقطوعات يتهوون إبقاءً ليس الكمال من هذا الوجود ؟ وكفى الذكاء البشري أنه فاز بتصوره ؟ فاذا ما طمع في الحصول عليه رمت به شهوته إلى الخبل والجنون

افتح نافذة غرفتك ، يا أوكثاف ، وتطلع أما تشرف منها على مدى لانهاية لهفتشعمر أن لا حد لهذه الآفاق ؟ ولكن هل لك بالرغم من تصديق

وعا أن سواك سيتمتع بها بعدك ، فإيهماك وقوع
ذلك في هذا المساء أو بعد سنتين . إذا كانت هذه
المرأة ان تحبك إلا إلى حين فإيهماك أن قصر
حبها على ليلة أو طال إلى سنتين

ألسنت رجلا يا أوكتاف ! أفلا ترى الأوراق
تساقط عن أغصانها والشمس تشرق فتغرب ؟ أفلا
تسمع نبضات ساعة الزمان في كل خفقة من
خفقات فؤادك ؟ فأى فرق لدينا إذا بين غرام سنة
وغرام ساعة من الزمان ؟ أفليس مجنوناً من يتطلع
من نافذة تقدرها السكف ليرى المدى الذى لانهاية له
أنت تلعب المرأة التى تحبك عامين دون أن
تحزنك بالمرأة الشريفة ، ولعل لديك مقياساً خاصاً
تعرف منه ما تقتضيه قبيلات الرجال من الزمن
لتجف على شفاه النساء

إنك لتجد فرقاً كبيراً بين المرأة التى تستسلم
للحصول على المال وبين من تستسلم طلباً للذة ، تجد مثل
هذا الفرق أيضاً بين من تبذل نفسها إجابة لداعى
الكبرياء ومن تبذلها في سبيل إخلاصها ؛ إن بين من
تشتري من النساء من تقدر لها ثمناً يزيد على ثمن
سواها ، وبين اللواتى تطلب فيهن تمتع حواسك من
تنال ثقتك دون سواها ، وبين من يدفعك الغرور إلى
نيلهن من تباعى بالظفر بها بأكثر مما تباعى بامتلاك
أخرى سواها ، وبين من تخلص لهن أنت من
تهبها ثلث قلبك في حين أنك لانهب الأخرى
سوى ربه ، وتهب غيرها نصف هذا القلب ، وذلك
تبعا لما تقدره لأحدهن من التهذيب والمعدات
وما ترامها من كرامة الأصل وروعة الجمل واعتدال
المزاج ، وتبعاً للظروف الطارئة أيضاً ولما يقوله

تقول — إنها غير كاملة وإن في أقسامها الأخرى
ما يشير الاحجاب

إن في العالم نساء زدهن طبيعتهن وما في
عواطفهن من الاخلاص عن اتخاذ عشيقين في
زمن واحد . ولقد خيل اليك أن عشيقتك من هذه
الفئة ، ولقد كان خيراً لك لو أنها منها . ولكنك
تحققت خيانتها فهل في ذلك ما يدعوك إلى احتقارها
والاساءة إليها وإلى الاعتقاد بأنها تستحق حقك
وتغفرتك ؟

افترض يا أوكتاف أن عشيقتك لم تخذلك
وأنها لاتزال تحبك دون سواك ، أفلا ترى حتى في
هذه الحالة أن حبها بعيد جد البعد عن السكال وهو
حب بشرى حقير يتحكم فيه خبث هذا العالم
وأضاليله ؟ أفنتذكر أن هذه المرأة قد استسلمت قبل
ما نلتها أنت إلى رجل ورجل وأن غيرك سيدنا لها
بمدك أيضاً ؟

ارجع إلى رشذك ! إن ما يدفعك إلى اليأس
الآن إنما هو اعتقادك بكال كنت حليت به من تحب
فاذا هى ساقطة لا حامية لها

ولكنك إذا ما رأيت اعتقادك على حقيقته
واتضح لك أنه توهم واعتار بشرى تدرك أن لا فرق
بين السقوط دركة وبين التدهور دركتين على شفير
العيوب البشرية

إنك ان تستطيع أن تشكر أن حبيبتك قد
نالها غيرك قبلك وسيدنا لها غيرك بمدك أيضاً .
ولكنك ستقول لى إنك لانهب لهذا ما دام حبها .
أما أنا فأقول لك إذا كان سواك قد تمتع بها فإيهماك
أن يكون وقع ذلك في الأمس أو منذ سنتين ؟

الناس وبحسب تأثير الساعة ، وما تناوأت من مشروب مع عشائك

إن النساء يستسلمن إليك أيها الصديق لا لسبب الا لأنك في شرخ الشباب المتقدم ، ولأن استدارة وجهك لا عيب فيها ، ولأن شعرك مسرح باعتناء ، ولكنك لانصافك بهذه الصفات لا تعرف من هي المرأة

إن أول ما ترى الطبيعة إليه إنما هو استبقاء النوع ، لأن الحياة أينما تجلت من قمم الراسيات الى قعر البحار تفرع من الموت وتنفر من الفناء ، وما فرض الله هذا الناموس إلا استبقاء لخليقته فوضع اللذة العظمى في الاتصال الجنسي بين الأحياء إن النخيل يرتعش غراماً عندما يرسل الى أنثاه ذرات الحياة تحملها جارفات الرياح . وإذا قاومت الوعل أنثاه فانه لا يني ينطحها حتى يبقرها . والحمامة تنتفض تحت جناحي زوجها كأرق المشيقات احساساً

وهكذا الرجل ، عندما يضم رفيقته بين ذراعيه أمام عظمة هذا الوجود يشعر بالشرارة الآهية التي خلق منها هب مشتملة في صميم قواده

أيها الصديق ، إذا ما ضمعت إلى صدرك امرأة ملؤها الصحة والجمال وشمرت بسكرة الغرام تفجر الدمع من مآقيك وبالخلود في صميم قوادك يدفع إلى شفقتك بالقسم زفره زفراً بثبات حبك إلى الأبد ، فلا تكبح جراح نفسك حتى ولو كانت المرأة التي تضم بين ذراعيك من بنات المواخير . ولكن حذار ! ألا تميز بين الحمرة التي تكررهما والنمل الذي يسود مشاعرك منها ؟ ولا تحسبن

الكأس هي الكوثر الذي تشربه . وهكذا ان تنفجع اذا ما رأيت هذه الكأس محطمة أمامك في إحدى الليالي ، وما المرأة الا وعاء من صنعة الخزاف سريع سقوطه وسريع تحطمه

وجه شكرك لله لأنه سمح لك بأن تلمح السماء ، فلا يخذعك في جوانحك خفقان تحسبه خفوق جناح ، فان الأطيوار نفسها لا يمكنها أن تخترق السحاب وفي الأعلى طبقات لا هواء فيها . أنسا رأيت القنبرة ترتفع حلقة إلى مسارح الضباب وهي تفرد لترعى بمد تخليقها مبيتة إلى أخايد الحقول ا كرع من الحب ما يكرعه الشارب المعتدل ، وإياك أن تصبح سكيراً

إذا كانت عشيقتك أمينة مخلصه ، فأحبها من أجل أمانتها وإخلاصها ؛ وإذا لم تكن فيها هذه الصفات وكانت فتية جميلة ، فأحبها من أجل فتوتها وجمالها ؛ وإذا لم يكن لها من مزية سوى الملاحه وخفة الروح ، فأحبها من أجل ذلك أيضاً ؛ وإذا لم يكن لها شيء من جميع هذه الصفات ولها تماقها بك فلا تمنع حبك عنها ، فما يجحد الرجل في كل مساء امرأة تتمسقه

وإذا ما عرفت أن لك مزاحماً في حب من تهوى فلا تشد ناصيتك ولا تمان أنك مستنجر . إن غرورك يخذعك فيخيل إليك أن حبيبك تخونك بالتصاقها بسواك ، غير أنك إذا عكست نظرتك المكذوبة فقات في نفسك إن حبيبك تخون مزاحمك بالتصاقها بك ، فأنت ل ترى النصر في جنبك لا في جنبه :

إياك أن ترمي لنفسك خطة تلتزم سلوكها ،

أنفسهم آلات حرث و زرع . فليس هنالك شعور
مستعارة ولا أصباغ ولا أدهن ؛ غير أن المشق
عندهم سليم من الجرب فلا يخجل لهم أنهم في افتراشهم
يكشفون عالمًا جديدًا . وإذا كانت نساؤهم محرومات
من الحس الرفيف في الشهوة فانهن سابقات من
العال ؛ وإذا ما خشنت ملابس أيديهن فإن خشونتها
لم تنطرق إلى قلوبهن

لقد ذهبت الحضارة مذاهب لا تأتلف والنظم
الطبيعية ، فإن المذراء الكعاب سجيئة وراء الأفتل
وهي المخلوقة للشمس والهواء الطاق ، ومن حقها أن
تشهد مسارعة الشباب كما كانت تشهد بنات
لاسيديعونيا ترجع حرة وتحب مختارة ، ولكن
سجنها لا يحول دون تطرق المشق إليها ، فانها
تجد الفساد في وقوفها أمام مرآتها فيدب إليها
النحول من جمودها ويذوى في سكون الليالي جمالها
المختنق متشوقا إلى الهواء إلى أن يأتي يوم تسحب
فيه من سجنها فجأة وهي لا تعرف شيئًا ولا تحب
شيئًا وتشتهى كل شيء . وتتولى إحدى المعجائر
تعاليمها بإلقاء كلمة سفينة في أذنها ، ثم تؤخذ بعد هذا
الدرس الثاني على فراش رجل مجهول يفتصبها اغتصابًا
ذلك هو الزواج أو بالأحرى ذلك هو منشأ
الأمرة المتعدينة ...

وتمر الشهور فاذا بالفتاة تقذف إلى الوجود
بطفلها ، وإذا بشعرها يتساقط وبصدرها يتبدل
فوق جسم شوهته التجاعيد

لقد فقدت هذه السكينة جمال الماشقات قبل
أن تمشق ، فهي لا تعرف لماذا حبلى ولماذا أصبحت
أمًا

فلا تقل إنك تريد حباً مطلقاً لا شرك فيه لأنك
إذا ما قلت بهذا المبدأ ستضطرب ، وأنت إنسان
متقلب بالطبع ، أن تستدرك خطأك فتضيف إلى
قولك كلمة (على قدر المستطاع)

كن راضياً بالزمان كما يحىء ، وبالهواء كما يهب ،
وبالمرأة على ما هي عليه

إن المرأة الأسبانية وهي من الطراز الأول في
النسوية ، تحب بلا شرك ، فقلباها مخلص مضطرب
واسكنها تخفى خنجرًا تحت أنوارها فوق هذا
القلب . والابطالية تنقد شهوة واسكنها تفتش عن
عريض المنكبين وتقدر قدر عشيقها كما يأخذ الخياط
قياس زبائنه . والانكليزية متحمسة تستسلم للكآبة
واسكنها باردة متعجرفة . والألمانية رقيقة الشعور
ولكنها باهتة جامدة . أما الفرنسية فانها ظريفة
رشيقة واسكنها أكذب من الشيطان

لا تلق على المرأة تيمة ما هي عليه ، لأننا نحن
أوجدناها في حالتها بتشوينتها في كل ساحة
ما أوجدته الطبيعة فيها . وما الطبيعة بغافلة في
عمامها فانها تمد المذراء للمشق حتى إذا خرج الولد
من أحشائها تساقط شعرها وهبط نهدها واحتفظ
جسمها بآثار جراحه ، فالمرأة لم تخلق إلا لتكون
أما ، ولقد يتمد الرجل عنها بعد أن تكون أدت
مهمتها فيستنفره الجمال المغفود واسكن طفله يتعاق
بأذيله ويشده إلى مسكنه باكياً . هذى هي الأمرة
وذلك هو الناموس الطبيعي وما يهتدى إلى السبيل
السوى من تحول عنه

إن فضيلة أهل القرى قائمة على أن المرأة في
مجتمعهم إنما هي آلة للتوليد والارضاع ، كما أنهم هم

تلقين هذا الفتى ما تلقنته هي من الحياة ، فتعفى عليه بالألا يحب طوال عمره

هذه هي المرأة كما أردناها ، وما عشيقاتها إلا من هذا الطراز . ولكننا نغضى معهن ، أطيب الأوقات . فإذا كنت ذا حزم ولك ثقة برجولتك ، فاتبع ما أشير به عليك . استسلم بلا وجل لتيار الحياة . تتمتع بينات الحانات والمواخير وبسيدات البيوت والقصور . كن ثابتاً ومتقبلاً . كن حزيناً ومرحاً في وقت واحد ، ولا تبال أخدعك المرأة أم حفظت عهدك ، ما دمت واثقاً من أنها أولئك حبها

إذا كنت رجلاً عادياً لا مزية لك ، فكن محترساً في اختيارك . وعلى كل لا تضع نصب عينيك أية صفة من الصفات التي تتمنى وجودها في عشيقتك أما إذا كنت ضعيفاً وفي فطرتك صفات السود لا مزايا السيد ؛ وإذا كنت تشعر أن في جذورك اندفاعاً إلى التغفل حيث تثر بحفنة من تراب ، فلا تجدر بك أن تتخذ عدتك المقاومة لأنك إذا ما استسلمت لضعفك ، فلا تتوقع نمو فروعك حيث علقت أصولك ، لأنك ستجف كالنبته العلية لا تورق أغصانها ولا تنور أزهارها ، فينسرب نسغ حياتك إلى الجذوع الغريبة وتبقى أوراقك كأوراق الصفصاف باهتة متراخية صفراء . وعندئذ إن تجد ما يرويك غير دموعك وما يغذيك سوى قطع قلبك

أما إذا كنت متحمساً تؤمن بالأحلام ونظامج إلى تحقيقها فإني أقول لك بكل صراحة : إن الحب وهم لا حقيقة له

يقدم الطفل لهذه المرأة ويقال لها : أنت الآن أم ، فتجيب قائلة : لست أمّا . إذهبوا بهذا الطفل إلى مريض في ثديي لين له

وهل يدر اللبن صدر مثل هذا الصدر الفتصب ؟ ويؤيد الزوج هذا الرأي معلناً أن تعلق الطفل بأمه ينفره منها

تجلس هذه المرأة على سرير مخاضها الدامي فيوشى بالأطالس وتبذل العناية اشفاقها من داء أمومتها ، وما يمر الشهر حتى تراها تجوب المسارح وتنقل من مرقص إلى مرقص ، ويرسل الطفل إلى مريض في إحدى القرى ، أما الزوج فيدخل إلى المواخير تحت جنح الظلام

ويدور بالمرأة عشرات الشبان يتدفق بياضهم بكلمات الحب والاحلاص والوله والعناق الدائم فتسمع من أفواههم كل ما كان يدور في خلدها فلا تلبث أن تختار أحدهم لتضمه إلى صدرها . ويندفع هذا المختار إلى تدنيسها ثم يتحول عنها ليداعب الحظ في مؤسسات القراطيس المالية

قضى الأمر فليس لهذه المرأة أن تعود أدراجها ، تستخرط في البكاء ليلة ثم ترى أحداً جراً مما ذرفت من دموع ، فتتخذ عشيقاً آخر تسلم به همها فيسلمها الثاني إلى ثالث إلى أن تبلغ الثلاثين أو تتجاوزها ، فيدب الفساد قاضياً فيها حتى على الأشمئزاز ، وتصادف في ليلة من ليالي جموحها يافعاً يتدفق الجمال من عيائه وتتدلى طرته السوداء على إثراق جبينه ، ترسل عيناه شرارات الحياة وتحقق في فؤاده الأمانى المذاب ، فتري فيه خيال شبابه وتذكر ما تحمات من شقاء ، فتسارع إلى

وما أنا بمنكر عليك صحة مذهبك في الحب لأنه عبارة عن أن يهب الانسان جسده وروحه ممّا ، بل هو اندغام شخصين في ذات واحدة تمتلئ تحت الشمس وتجول في الحقول المزهرة تلتف بأربعة معاصم وتفكر برأسين وتشعر بقلابين ما الحب الا ايمان وعقيدة بوجود السعادة على هذه الأرض

ما الحب الا المثلث الثأني بالنور على قبة هيكل الوجود ، فاذا أنت أحببت مشيت حراً تحت قبة هذا المعبد والى جنبك المرأة التي لا يفوتها ادراك سر خشوعك عند وقوفك لفكرة تخطر لك أو عند زهرة تلمحها فتتوجه بنظرة استغراق الى هذا المثلث السماوي

إن خير ما في الوجود هو أن يتمتع الانسان ببذل ما أعطى له من قوة ، لذلك كانت المبقرية أروع ما يستهوى النفوس ، ولكن اذا ما ضاعف الانسان هذه القوة بضمه فكرياً الى فكره وعاطفته الى عاطفته فانه ليبلغ السعادة العظمى وفيها يتناهى ما وهب الله للناس في هذه الحياة ، لذلك كانت المحبة أفضل من المبقرية

تلك هي المحبة فقل لي الآن اذا كانت هذه الماطفة العاليا هي ما نسميه محبة في قلوب نسائنا وكيف يكون حبهن حباً وما المحبة في نظرهن إلا الخروج مقنعات من بيوتهن وتوجيه الرسائل السرية والسير بذعر على رؤوس الأقدام وإنشاء الدسائس وبذل التهكم ورشق اللحاظ الفواتر وارسال نهيدات العذارى وارتداء الأثواب النفيسة وخلع هذه الأثواب أخيراً وراء الأفقال لاذلال

مضاحم وخيانة زوج والنكابة بمشيق أجل ما المحبة في نظر نسائنا إلا التاهي بالأكاذيب كما يتاهي الأطفال بلعبة الكمين . تلك هي فحشاء القاب وهي أقبح من الدعارة الرومانية ، وذلك هو المسخ المولود سفاحاً من الفضيلة والرزيلة ، تلك هي مهزلة الحياة التي تمثل بالهمس والغمز حيث يتجلى كل شيء صغيراً لا شكل له في رشاقتة وكأنه تمثال صيني خلقة من عجائب المخلوقات ؛ تلك هي الجنة تتحكم في الجمال والقبح وفي كل ما هو مماوى وجهنمى في الأرض ؛ تلك هي الأظلال التي لا حقيقة لها ، بل هي رمة المظالم تتداعى من كل هيكل أقامه الله في الحياة

هذا ما قاله ديجنه فتعالت أسمى نبراته اللاذعة تحت جنح الظلام
(يتبع)
فليكس فارس

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

منجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

نطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً



هوميروس

من
اساطير
الأولين



الأولاد لبيس

لهرميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

في أسيرطة

العشاق يتآمرون

مقدمة ما تقدم

وهادها وأنجد ، وانطلق تلياك وصاحبه من فورهما إلى باب منالايوس الملك حيث وجدا ، لحسن الطالع ، وجوها مسفرة ، وجواهر مستبشرة ، وموسيقى تصدح ؛ ومنشدن بردون أناشيدهم ويرسلون أغانيهم ، ووليمة ملكية حافلة اجتمع لها الملك وأبنائه وخلصاؤه ونداماه ، يا كلون ويشربون ويسمرون ويتطربون ... ماذا ؟ لقد اجتمع القوم من كل حشد ، وأقبلوا من كل صوب ، يحتفلون بابن الملك : بابنه الذي زوجته أبوه من أجل غادات أسيرطة وأكثرهن وسامة وقسامة وفتنة ، ابنة ألكثور العظيم ؛ ثم بابنته المفتان اللعوب الطروب التي رزقها على كبر من هيلين ، والتي نافست بجمالها ودلها هرميون ابنة فينوس

وما كادا يجاوزان الوصيد حتى لمحهما إتيون ، كبير أمناء الملك ، فانطلق إلى مولاه وحديثه عنهما . « إن لهما لمهابة وإن عليهما لرواء ، فهل

« سفطت طروادة وعاد كل المحاربين من اليونان إلا أوديسوس لطمع أسراء الأقاليم المجاورة في زوجته الجميلة بنلوب وعصروا بيتها ، وأحزن ذلك إلهة الحكمة مينرفا — أو باللاتينا — غرخت ابنه تلياك على أن يقف في وجه العشاق ، وأن يجر إلى بيلاس ليسأل أميرها نسطور عن أبيه وأبحرت هي معه في صورة أمير البحر منتور وهو لا يدري أنه هي ... وأكرم نسطور وفادة تلياك وقس عليه ما كان بعد سقوط طروادة وأرسله معزراً مكرماً إلى أسيرطة بعد أن أيقن أن منتور أمير البحر الذي يصحب تلياك إن هو إلا مينرفا . وقد ذهب تلياك مع أكبر أبناء نسطور إلى أسيرطة ليسأل ملكها منالايوس — زوج هيلين التي كانت سبباً في حرب طروادة — عن أبيه »

وصل الركب إلى أسيرطة بمسد أن غور في

إلا عن قصر سيد الأولب في شعاف جبل إيدنا :
أية ثروة وأى كنز ؟

وسمعه منالايوس الملك فقال :

« بنى ! لا تقرن أحدا منا - نحن بنى الموتي -
الى سيد الأولب ! وأنت على حق حين ترى أن لا أحد
يملك ما أملك أنا من أذخار وكنوز ، فقد سجت
في أقصى الأرض سنين عدداً ، وجمعت الدرر
الفوالى من كل فج ... من كريت وقبرس وفينيقية
ومصر ، ومن أثيوبيا وإرمي ... ومن صيدا
ولوبيه ... ورؤوس الشاء والوعل هذه ... الوعل
الوحشى السائم ... والشاء التى تمدنا بخيرها بغير
حساب ... لقد طوفت في الآفاق وتركت في كل
منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأكم آباؤكم بذكر
منالايوس الملك الذى ذك المعاول وهدم القصور ...
ما أنس لا أنس هذا القصر العتيذ الذى جمعت
عليه سافله بما فيه من أذخار وقبى ، وددت لو كان
في قصرى شئ ، منها ، وود الأغبى لو حصلوا في
بلادهم جيماً على بمضها ! هناك ! هناك تحت أسوار
طروادة يا صاح يا ويح نفسى ! يارحمتنا الأصدقاء
الأحباء الأغزاء الذين ناموا نومة ! ! اشد ما أسلى
النفس عنهم بالتأمى ؟ لشد ما يتدلح الأسمى في قلبى
عليهم جيماً ، ولا سيما صفى وخابلى وأهن أودائى
على ... أوديسوس ! ! أوديسوس الكريم ! ليت
شمري يا صديقى فيم شطت بك النوى وطال عليك
الأمم ؟ أى ترزق ؟ أم توبت في بطحاء باقع ؟
يا ويح لك ، ولأبيك الشيخ ، وزوجك اللئاعة ،
وابنك المحزون اليتيم تليماخوس ، الذى غادرته في
المهد ما باغ الفطام ، الى حومة الوعى وحابة
الحمام ... »

يأذن لهما مولاي أم بأمر فتردهما من حيث أقبلتا ؟
وأوما الملك برأسه الكبير الذى يزيد في وقاره
وحسن سمته شعره الذهبى ، وأمر إتيون أن يذهب
اليهما ، يسير بين أيديهما إليه ... » ... إذ كيف بُرد
عن طمايى الغرباء ، وقد طمعنا طويلاً زاد الغرباء »
ودعا إليه إتيون طائفة من الخدم وذهب الى
الوافدين السكرعين غيتا وسلم ، وحل الأُجَم وأماخ
البُهم ، ومضى بهما إلى داخل القصر من طريق
يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى
ازدانت بأحسن زينة ، وقبة العرش التى تلالأت
في الأنوار الوضاعة والشرُج الوهاجة ... ثم لقيتهما
فتيات من عذارى القصر فقدمتهما الى الحمامات
المرصية الباذخة فاغتسلا وتضمخا وابسا ثياباً
ملسكة ثم ذهبا للقاء رب هذه الدار .

وهش الملك لهما وبش ، وأجلسهما الى جانبه
على مقعدين وثيرين ، وهما في دهش من ذاك المنظر
العجيب . وأقبلت فتاة فسبت على أيديهما الساء ،
وذهبت فأحضرت مائدة رائمة منسقة ، عليها قدر
غير قليل من أنحر الأشربات وأشهى الآكال ،
ووقف خادم آخر يقدم طبقاً بعد طبق ، وكأساً
من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيما بين ذلك
يبالغ في إيناسه لهما والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى
يفرغا من طعامهما فيخبرانه عن أمرهما ، وكان يتلطف
فيقدم لهما قطعاً من شوائه بيده .

وسار تليماك صاحبه فقال :

« يئسرتاوس يا صديقى ! ما أجل وما أنغم
وما أروع ؟ ! هذا الحفل الباهر يتألق في الذهب
والفضة والماج والكهرمان ودروع النحاس !
أبدأ ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن

ولم يملك الفتى دموعه حين سمع هذا الهتاف باسم والده فنشج نشيجاً مؤلماً ، ثم استخرج في البكاء ، وطفق يذرى شئونه في طرف ثوبه ... بين دهشة منالايوس وحيرته ، وذهول الحاضرين . وانقد لسان الملك فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم بنظرون إلى هذا الرشأ الذي يتثنى مياساً في ظلال من الفتنة كأنه ديانا ربة القوس الذهبية ...

واستوت على عرشها المنضد ، الذي أصلحته بدا أدرستا وعناية أكليپ ، ثم أحضرت الطرف والهدايا والهي ... فهذه سلة من الفضة المزخرفة بالتصاوير هدية من ألكندرا زوج بواب أمير طيبة ، عروس المدائن المصرية ؛ وتلك عشر يدّر من النضار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان من الابريز ... يقدمها كلهما ملك أسيرطة إلى زوجه الباردة الرائسة الهيفاء ... ونظرت هيلين إلى الضيفين الغريبين ، وسألت زوجها :

« ملكي ! نشدتك الآلهة أن تخبرني من هذان ؟ إن أحدهما شديد الشبه بطفل أوديسيوس ... الصغير تليماخوس ... الذي تركه أبوه صبيّاً في المهد من جراء حرب اليوم المشئومة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك يا هيلين ، لقد دار بخلدى ما دار بخلدك من أمر هذا الفتى : ألا ما أشبه الساقين والساعدين ونفتر العينين واسترسال اللتين ^(١) بما كان لأوديسيوس ؟ ! لقد ذكرت ما قامى صاحبي من أجل وفي سبيلي تحت أسوار اليوم ، فسرعان ما رأيت الشاب يبكي ويبكي ويبالغ في البكاء ، ثم يغلبه حزنه فيخفي وجهه ، وفيه

(٢) اللمة الشعر الذي يحاوز شعمة الأذن

روحه ، في ثيابه من الهم »

وانتهز ابن نسطور الفرصة فقال :

« حقاً أيها الملك إنه هو ! ولكنه خجول حبي ،

ولقد أوشك حياؤه أن يمنعه من لقائك ، وقد هاج تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، فاني ابن نسطور صديقك الآخر ، وقد أمرني أبي أن أصحب تليماخوس إلى هنا عسى أن يسمع خيراً عن أبيه الذي ذهب بذرع الأرض ، ولا يعلم أحد أيا ن قد ذهب ... وهاك ابنه المكلوب يجتر أشجانه ، وتطحن فؤاده أحزانه . »

وشده البطل - ذو الشعر الكهرماني - فقال :

« يا للآلهة ! أهكذا أفاجا بقاء ولدي ! أنت ! أنت ابن أوديسيوس الذي شق طويلاً بسبي ، وبذل نفسه من أجل ، وما يزال يناضل الولايات من جرائي ؟ كرامة وحباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت أنك تسمى للقاء أشدت لك مدينة في أرجوس ندية على المدائن وترهى على القرى : ورفعت لك عمّاد قصر منيف طالما كنت أخاله يؤوبنا جميعاً فنسعد سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ومن بعد ... وتلتذ ، أما وأبوك وأنت ، وجميع أهلي وأهله ، ذكريات الماضي المترع ... آه يا أوديسيوس ! لقد طاشت الأحلام وذابت الأمانى ، وقست عليك السماء ... غرمتك كل شيء ، حتى الأوبة إلى أرض الوطن ! »

وأثارت كلمات الملك شجون القوم ، فبكى تليماخوس ، وأذرفت المأسكة ، وانبجس الدمع من عيني بيرستراتوس حين ذكرت طروادة فأذكرته قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : « حسبك أيها

لقد أزدى بي أن أفر راغمة فأهجر فراثنى الطهور
وطفأتى اليافعة إلى بلاد قاصية لاناقة لي فيها ولا
جل ... »

وأعذرها الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :
« أبدأ ما رأيت أثبت جأشاً ولا أربط قلباً
من أوديسيوس ؟ وإن أنس لا أنس يوم الروع
الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر ، ثم دبر
هذه الحيلة العجيبة ، حيلة الحصان المذولة الذي قهر
لنا طروادة في يوم أو بعض يوم ، وقد عيينا بها
السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس^(١)
الصناديد . وكنت أنا — سقى الله الشباب —
واحداً منهم ، فما أنسى قط حين أقبلت في
عصبة ذوي أيد من مذاويد الطرواديين (إذ هتف
بهم هاتف إن الحصان يحمل لهم شرأ و بطوى
أقربتهم ثبوراً) فجعلت أنت تنادين بأسماء الفرسان
اليونانيين واحداً بعد واحد لترى هل اختبأ منا
بداخله أحد كما تنبأ بذلك المتنوون . والله لقد
كدت أرد عليك نداءك حينما هتفت باسمي ؛ والله
لقد أوشك زميلي ديوميديد يرد عليك هو الآخر ،
لولا أن فطن أوديسيوس فحذرنا وحبس ألسنتنا
الشقاقة التي كادت توردها موارد الهلاك ، لو أن
أحداً منا خدع فنبس بينت شفة ... وأحارباً !!!
لقد صمتنا جميعاً ولسكنك عاودت ، فما كدت
تهتفين باسم أنتيكلاس ، حتى أوشك المجنون أن
يلبي ، لولا أن كنتم أوديسيوس أنفاسه بكلمات يديه ،
حتى لسكاد يزهق روحه !!! ولم يمضه حتى أبقنا
أنك عدت أدراجك ، وعاد معك القوم المنكرون »
ثم كان الهزيع الأخير من الليل ، فتلطّف

الملك ! لقد تذكرنا ، أنا وصاحبي ، جلائل أعمالك
فمرتنا فيك المليك الأجل ، والقدام البطل ، ولكن
ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد غالت يد الردى أخى وابن
أى وأبى في سبيلك كذلك ! ألا تذكر ؟ أنتيلوخوس !
البطل المغوار والفارس الكرار الذى لم تكتحل
عيناي برؤيته ! أوه يا ابن أودودا القادر ، شات
يداك بما فتكت بأخى ... »

وتعطف الملك فطيب ابن تسطور بكلمات
عاليات ، وأمر الندمان فصب الماء على أيديهم جميعاً
ثم أخذوا في آكلهم ، وصبت هيلين قطرات من
طيب مذهب الأحزان في كأس تلياك ، وكأس
صاحبه ، ليعرف من يذوقها إلى الأسى من سبيل .
وهى قطرات عجيبة أهدتها الملكة ، زوجة (ذون)
الأميرة المصرية بولندامنا ، وكم في مصر من سحر
مبين !

وتكلمت هيلين ، فذكرت ما كان من
أوديسيوس يوم التقى الجمعان عند اليوم ، وكيف
استطاع أن يتسلل مستخفياً في ثياب شحاذ إلى
داخل المدينة العتيقة ، وكيف قابها في حجرة
إريس ليطلعها على خطة اليونانيين ، وما كان من
رجائه إياها ألا تفضحه عند أعدائه حتى يعود سالمًا
إلى معسكره ونجيمه ، وأنها برّت فلم تنبيء أحدًا
بوجوده .. ثم رأت أن تنصل من فضيحة فرارها
مع إريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغها
لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها (لما
وعدت به إريس من أنها ستبهه أجمل غادات
هيلاس إذا هو قضى لها بالتفاحة^(١)) . « واخرجنا »

(١) الأباظة — قضى إريس بالتفاحة لفينوس وحرم
منها ميراثاً وحيراً وذلك سبب عداوتها للطرواديين

(١) اسم يونان القديمة

بنافس بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء ...
من أجل زوجه !! يا للعار !! إنهم استباحوا كل
شيء ... كل نعمته وكل شأنه ، ولم يمتنعوا آخر
الأمر عن عرضه ، انى أستجبرك يا مولاي وأضرع
اليك أن تخبرني عما تعلم من أمر أبي ؟ هل قضى
تحت أسوار اليوم ؟ أم غابته يد المذون في ركن
آخر من أركان الأرض ؟ لقد كان خايلك وصفيك
وآثر أسدائك ، وأعز أودائك عليك ، فبكل
آلاء ذلك عندهك أنتحلفك أن تصدقني ... ماذا
تعرف من أخباره ، وما ذا عسيت سمعت من
أنبائه ؟ »

وتنفّس الملك تنفّسة عميقة وقال :

« يا أرباب الأوب : أبلفت حقارة نفوسهم
أن يفضحوا أوديسيوس في عرضه ؟ ألا باءوا
بما صنعوا : ألا ما أشبههم بهذه الوعة التي أجاهها
المخاض فولدت في عرين الأسد ، فلما عاد الأسد
إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفارها ^(١) !
حنانك يا آلهة زيوس : مينرقا ! أبوللو ^(٢) ! أين
هو فيبطش الجبارين كما بطش بفيلوميليد العسرى من
قبل ؟ تالله لقد اقتربت ساعته وأزفت آرزقهم ...
فطب نفساً يا بني ! إني متببك بما علمته عن أبيك
من (بروتيوس) راعي الأعماق ، وكاهن الأغوار
ضلت بنا الفلك بما نسينا من التضحية بامم
الآلهة ، فبلغنا شطآن مصر ، ورسونا عند جزيرة
فاروس ، بحيث كان في مقدورنا أن نروى من
كوثر هذه البلاد التي تجري من تحتها الأنهار ،

تليماخوس واستأذن الملك في الانصراف ليأخذ كل
نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأشارت هيلين إلى
وصيفاتها فأمرعن إلى مخادع الأضياف ، فأصاحن
فرشها ، وأعددن الملاحف والوسائد والحشايا ، ثم
نهض أمين الملك ، ونهض في إثره يزا ستراتوس
وتليماخوس ، حتى كان كل في مخدعه ، وحتى اطمأن
كل في سريره ، وناما ... في ... سمور وفي
قائم وفي سنجاب

وتهاويل غير ذاك من الر

قم ومن سندس ومن زرباب ^(١)

ونهب الملك والمكة كذلك فدخل القصر ،

واستلما لأطيب الرقاد

وذراً قرن أورورا ، ربة الفجر ، في المشرق
الوردي ، فهب الملك وأصلح شأنه ، ورف بازئيه
الأشهب فوقف على غاريه ، ثم مضى إلى مجلسه
حيث اتى تليماك في انتظاره ، فحياً وجلس وبدأ
حديثه فقال :

« أي بني ! تليماخوس ! أيها البطل وسليل
البطل ! فيم شددت رحلك إلى هنا ؟ إلى رحاب
ليسيديمون ^(٢) في فلات البر وسروات البحر ؟
الأمر عام ، أم شأن يخصك ويتعلق بشخصك ؟ »
وأجاب تليماك : « مولاي الملك ! من لا يوس
المظيم ! لقد جئت أتحسس خبراً عن أبي وأقبلت
أحدث عن أعدائه الذين آووا إلى بيته فإيريمون
يستترفون غلته ، ويهاككون حرثه ، ثم هم مع ذاك

(١) الشعر لابن الرومي لم تحمد أحسن منه في ترجمة

آيات موسى

(٢) من أسماء السيرة

(١) جمع غفر وهو ولد الوعل

(٢) كان أبوللو من خصوم اليونانيين في حرب

ملروادة ولذا يدهشنا هذا الدعاء

تتغفله فتقبض عليه وتشد وثاقه ، فانه يقفك على
أبعاد هذا اليم ، والطريق السوى الذى ينتهى بك
سالمًا غامًا الى بلادك . بل ربما - إذا طابت اليه
ذلك - وقفك على كل ما حصل فى بيتك من خير
أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأنى أعرف أنك
صنى السماء وحبيب الآلهة .

غير أنى لم أدر كيف تستطيع أيدى بنى الموتى
أن تقبض على هذا الآله البحرى الكريم ؛ ولم
أخف عنها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرت لها
أنه ربما ولى دبرة إذا شمر منى بهذه المحاولة فلا
أستطيع لقاءه بعدها أبدًا . بيد أنها طمأنتنى ،
وذكرت أن أباهما يخرج من الأعماق فى الظهيرة
إلى جون قريب حيث يستلقى برهة وسط قطمان
كشيفة من مجول البحر ، من ذرارى هاليسودنا
الجميلة ، نأنى هى الأخرى فى أثره لتنام نمة . . .
« فإذا كانت هذه الساعة فانى سأقودك بنفسى إلى
هناك ، وليكن معك من رجالك ثلاثة هم أشجعهم
وأكثرهم قوة ، وسأدلكم على منمرج آمن تنتظرون
به حتى يكون قد غلبه السكرى ، ثم تنقضون عليه
فتكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهبكم بشيء
أبدًا ؛ إنه سيكون ثارة شيلارابيا ، وثارة سيكون
نارًا ترى بشرى كالقصر كأنه جبال صفر ،
وأخرى يكون أفعوانا هائلًا ينفث السم . . .
ولكن خذوه أخذًا شديدًا ولا تفتلوه فتهلكوا . . .
فانه إن آنس فيكم قوة عاد فانتفض إلى صورته الأولى
التي رأيتموه عليها ، ثم ترونه بعد ذلك أسلس قياده ،
وهذا وتطامن . . . فإذا فعل ذلك سألكم عن حاجتكم ،
فدعوا وثاقه وأطلقوا سراحه وسلوه ما شئتم ، فانه
مجيئكم عما تسألون . »

در بنى همت

(يجمع)

ثم لبثنا ثمة عشرين يومًا لا تجرى بنا ريح ، ولا برقه
عنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ الزاد ، وظننا
أنه المهاد ، لولا أن رمت لنا إحدى عرائس البحر
فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثًا أى غوث ، كنت
أجاس وحدى فى منمرج بأحد أطراف الجزيرة ،
وكان بقية صحبى وأكثر الملاحون يرتادون الماء
بشوصهم^(١) عسى أن يحصلوا على سمك طرى
يكون غذاءً لنا ، إذ برزت عروس الماء (إيدوتيا)
الجميلة ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ، وتهادت
حتى كانت تلقانى ، ثم جاست بجانبى ، وحدثتنى
فقلت : « أيتها النازح الغريب ! أكبر الظن أنك
مذهوب بك ، أو أن بك مسأ ، أو أن طائفًا من
الجنون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء
السرمدى حيث لصقت بأرض هذه الجزيرة فما
تنوى مضيا ، ولا تلتئمس مخرجًا ، ولو هلك كل
أصحابك ! »

ولم أبال أنى شدهت ، فسألها قائلاً : حسبك
ياربة ! إنى ما لصقت بأرض هذه الجزيرة بأمرى ،
ولا أقت فيها برضائى ، بل كانت ذلك قدراً على
مقدوراً ؛ ولكن أخبرى بحقك إذ الآلهة تعلم كل
شئ - من من أرباب السماء يحبسنى هنا ؟ . . .
وهل مقدورى أن أرتد إلى وطنى فوق غوارب هذا
اليم المضطرب ؟ . . . »

وقالت عروس الماء : « أيتها النازح الغريب !
سأنبئك فأصدقك : إنك الآن مقيم بشطآن مصر
التي تقع تحت إشراف أبى ، پروتيوس ، سيد
الأعماق ، ورب البياض المصرية ، والتصل برعايا
نبتيون فى أغوار هذا البحر ، فإذا استطعت أن

(١) الشس جديدة عفاها بصاد بها السمك (السنارة)

سيرة الجبال الهولكة

مشرحة شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرنسي مورييس رستان

بترجم الأستاذ خليل هنداوي

بلى ! ليس الجمال في
المسكاتب ، إنما الجمال في
ظل القدم ، في الظل
اليوناني ، وفي الأم التي
يكن إيقاعها وأوزانها
تحت الأرض ، حيث
تؤلف كل اثنتي عشرة
خطوة في الليل بيتاً من
الشعر

الفصل الثاني

« قصر باريس إجملاً في الجزيرة على ضفاف النيل ،
القصر خال من كل شيء ، لا مكتبة ولا كتاب ، هنالك
أزهار في آنياتها ، تماثيل صغيرة في إحدى الزوايا ،
وفي الأعماق شجرة تطل على الصحراء كأنها تطل على
بستان من الرمال الذهبية المتوهجة . والرمز شفق ! »

المشهد الأول

باريس (على بعد مدود) وسانتيا شقيقته إزاءه
سانتيا — الجو جميل والقصر بهي . . .

باريس — المحي هذه اللمعات البيض البعيدة
سانتيا — هذه ممفيس كما تعلم وينابيعها التي
تجري كأنها تجري من الأحلام
(يرى قرويات حلمات جرارهن)

باريس — روما ! إن تماثيلك لا تباع مثل هذه
الروعة ! أراهن — وهن يمشين — كأن الحياة تسكاد
تدب فيهن . سانتيا ! ليس الجمال في أطواء الكتب .
لا تمثل الكتب شيئاً ! إنها ليست إلا لحداً !

سانتيا — أو بعض شيء ندى يرشف !

باريس — (يرى النسوة كأنها يذفن صداً من
الجمال لا يفصل عن العيون) أليس هذا جميلاً حقاً ؟

سانتيا — إننا غادرنا من أجلك الحداثق
المؤرجة بالياسمين كالأزهار الندية ، وقد هجرت
الكتابة يا باريس ! فلماذا لم تعد تكتب شيئاً ؟
(يشير باريس بيده)

لاحق لك في الصمت ! إنني أسمع مكتبة الهامانك ،
التي تتجري عن كلماتك . أنت لا تستطيع أن تبقى
هذا المتدليب صامتاً . ألا تود أن تكتب شيئاً ؟
باريس — أبداً !

سانتيا — وهذه الأبيات ، وهذه الأغاني
الحادة المشوشة التي تنهد في نفسك ؟

باريس — سأصرفها عني ! بل سأطردها
كأنها أفاق متشرد ! على أني في بعض خطراتي
لا أكتفك أني أسمعها صارخة شاكية راجية أن
تبقى وأن تحيا . رجوني نهدي قائلاً : ضعني في
كتابك ! وإلى الفتى يهتف بي : « خلدي » ؛ وخفوق
قلبي بصييح : « دعني أبقى » . مع أن كآبات مساء
شاكية ، لأنها أضاعت أجنحتها ، تود أن تبقى خالدة
سانتيا — إنها الجريمة ! . . .

باريس — ذلك حسن ! على أني في الحقيقة
أعبد وأقدر هذه الآثار الرائعة المعجبة التي لم أقم بها
سانتيا — أنبكي ؟

كسرت قينارتي وأصبحت لا آسف على شيء !
أقول لك : ما بهمى كل ذلك ؟ وهل الشجرة التي
عانت يونسو تفكر في ما تنثر من أوراقها في
الخريف ؟ إنني أحب هذه العزلة التي أحيا فيها الآن !
قد بلغنا الجزيرة ليلاً كغرباء راحلين ؟ أنت
ومارسيلوس وأما ، لم نجد من ينقل متاعنا إلا هذا
الفتى المصري ؟ وكانت لكل هذه العيون الممدودة
هيئة عينيك . لا تصحف ولا جابة ، ولا فتیان
ولا مصورون ! كل هؤلاء لم يشعروا سبيلاً إلى
الصحراء ولم يجدوا منفذاً إليها ؟ فهذه النخلة
المعملة لا تعرف أشعاري ، وأبو الهول الجبار يسخر
— في أعماق الليالي المصرية — من هؤلاء الفسرين
أحاجي الحياة ، الجاهلين أحجيتهم العجيبة والمزده
الغريب ، وإلى لأراني مقتوناً بهذه الظلمات الجديدة ،
وبهذه القبطة التي لا تجمل منى رجلاً مشهوراً . . .
ماعسانى أقول ؟ إن اسمي — هنا — شيء
مجهول ، ولا شيء من كل الجابة التي قامت حوله
بلغ هذا المكان . كذلك الزهو الانساني يتلاشى
ويشعر بصناره وحقارته على أقدام الأهرام . لا أحد
يعلم اسمي ، ولا أحد يبي كلمة من كل ما صنعت

(يفتح الباب وتدخل فتاة مصرية وتمثل أمامها
كأنها رقصت من رموز المدينة)

الفتاة — الشاعر إيجلانو !

المشهد الثاني

الفتاة — (بتردد) :

الشاعر إيجلانو

سانتيا — ولكن . . .

الفتاة — هذا هو ياسيدتي

باريس — إنك واهمة

الفتاة — ولكنني جزت المدينة بحجابي المذهب

لأحظى برؤيته ، والبيت الصغير الذي تحرسه نخلة

باريس — ماذا تريد مني ؟ إلى ؟ . . . إنني
أذرف الدمع تهانك بلا انقطاع ! لقد كنت قبلاً
أعبر في قصائدى الأولى عن فتونى ، وأقد كان
صرافى الرنات فى الليل مشرقاً ، أما اليوم
— ياسانتيا التمس — ماعسانى أصنع فى شعري ؟
وأغنى المدحشة قد فقدت رقها وأصبح أجملها
ما طفع بالدموع

سانتيا — إذا شدا المندليب فى شدوه رنة البكاء
باريس — فى الآلام الكبيرة لا يستطاع الغناء !
سانتيا — ألا تجد نفسك — خلال سكينتها —
أسفة على سماء إيطاليا وعلى ذلك المساء المائى الذى
نثر فيه روابتك على الشعب الهائج
باريس — لا آسف على شيء

سانتيا — ولا على القطعة الممزقة : ذلك الأثر
الذى لم يمسد يحدى شيئاً . قطعه الممزقة صفت
المدينة جماء ، ولم يبق منه إلا نسخة واحدة . إنني
فكرت فيه وفكرت فى تلك المرق المتناثرة فى
الليل . هذا فؤادك يا باريس ! فؤادك الكئيب
الزاهق مرقته فى كل ورقة تطير ! ألا تأسف على
ذلك اليوم المقطوب ؟

باريس — لا : وصفت فى ذلك اليوم ما أصنعه
داعماً ، لأننى ما كتبت لحظة إلا طارحاً فؤادى
على الناس . إننى غير آسف على شيء

سانتيا — ولكن ألا تأسف على صوت
إيزابيلا ؟ ألا تأسف على ذلك السكيان المذهب الذى
بنظرة واحدة منه عرف أن يصنعك ! إنها يا باريس
كانت إلهة فنك ؟ فهل تستطيع أن تفر من
صوتها ومن نظرتها كل دهرك ؟ وهل نسيت أنك
أصبحت تصنع أجل أشعارك لتشدوها ؟

باريس — تلك كانت القيثارة التي يفتش عنها
فؤادى ، واليوم أصبحت غير محتاج إليها . لقد

لأنك مرقفتها ، أنت باريس إيجلانو الذى أعبدته
باريس — احمل قلبك فاني أحطمه
الفتاة — ولستكني رأيتك

باريس — شاعر كبير بالقرب منك ؛ هذا هو
أنا ! فلتوقن نفسك الطامحة ؛ هذا ما كنت تتمنينه
الفتاة — إذا كانت نفسك تريد في كل آن
الجزء والسخرية ، فلا تفسد تلك الصورة التي
أحفظها لك ، فكل ما أنا مدينة لك به من بهاء نور ،
وقم عالية ، وكل ما أودعته في صدرى من أحلام ،
ومثل أعلى ، وعظمة وجلال

باريس — أ كاذب وأضاليل !

الفتاة — المثل الأعلى !

باريس — إن هو الا قناع عتيق ضروك !

الفتاة — لقد كانت غداؤك لى خيراً من

الشهد والخير

باريس — أسكتنى ! لقد كنت كاذباً

الفتاة — واسكت أنت ، وليكن الآن

ما كان مجنوح ذوقك إلى الأسرار ، فأنت رفعت

قلوبنا بأنيثك وبكائنك

باريس — إنه لحد فارغ ؛ بل ليته كان لحداً !

إنه ليس بالحد ، وهل العندليب الذى يبتث شجواه

على الأغصان ينادى موسيقياً لينقل دموعه ، وذلك

الشقاء الأليم — بعد أن يبلغ القمة — ألا يسكت

إلى الأبد ؟ لا ؛ اننا لم نقل شيئاً عن حفظنا المشنوم ،

ومن هذه المائدة الدامية لم يبق لك إلا البقايا

الفتاة — اننى سأقنع بهذا اللحد الفارغ ...

ولكن ماذا ! ان باريس إيجلانو حى يرزق ؛ فما

يهمنى الليل والسكون الكدرى ؟ انه حى ؛ انه فى

صدر الحياة ، ان تكون الأرض خالية فارغة

(وتخرج وهو ينكب على الطاولة كأنه مجذوب

بسكر سرى ، يفتح درجاً وينظر فى صورة ثم يضعها

أمامه ، ويكتب ... وتخرج سانتيا)

سوداء اجتذبنى كأنه معبد فى الطبيعة ، لأن لنا
قلوباً إن لم يكن لنا وجوه
باريس — خطأ !

الفتاة — نحن اللواتى نظل وراء أقنعة السكابة
حتى فى النهار يأتى إلينا « الغرب » مع نسائم البحر
باريس — ولكنه لا يحيا هنا

الفتاة — نخطر صورته بين جوانحي دائماً ،
صورته المحبوبة ، صورة هذا الذى يبكي عليه أشد
بكاء . بلى ! أهواه ؛ وكل قصيدة من قصائده المنهبة

تقدر أن تعبر عن نفسى بلهجة أوضح من لهجتي .

إننى أنطق مع أبيانه ، وأحس مع ذكرياته ، وأنالم

لهتافه ، وأحب مع تنهداته

باريس — ولكنه مات

الفتاة — (بلهفة) مات ! يا إلهى ! ليس ذلك

بممكن

باريس — مات ؛ ولى الفخر بمعرفته ؛ لقد

كان لى صديقاً

الفتاة — مات ...

باريس — أنت تبكين ...

الفتاة — أحس أن الوجود كله أمسى محدوداً

باريس — (تحتفظ الصورة من بين يديها)

وهذه الصورة ...

الفتاة — أصونها وأقدسها منذ عامين

باريس — أنظري ما أنا صانع بها

(يمرقها) والآن فابكي أيضاً !

الفتاة — إلهى ...

باريس — ابكي الآن على شئ . ؛ ابكي على

صورة ...

الفتاة — (مصعدة بصرها قليلا فى وجه باريس)

هذا هو أنت ؛ فهمت الآن ، لا أحد يقدر على

أن يأتى بهذا التجديف الشيطاني ... أنت إيجلانو

أنت الذى شهدت صرعة الآلهة وشعبذت مع

الغيوم

هذه غيوم !

الأبدية هى البساط الذى تسحب عليه مخالك ،
وغذاؤك — حين تطلب الغذاء — أحلامنا »
(يتم الكتابة ، فيدخل مارسيللوس شاحب
الوجه ، يدنو من باريس وباريس مازال يكتب
كالجذوب بهذا الوسى . ينظره مارسيللوس وخاذ
يطرح باريس ماكتبه على الأرض حيث يرى
مارسيللوس)

المشهد الرابع

باريس — مارسيللوس !

مارسيللوس — ماذا توارى عني ؟

باريس — لا شيء

مارسيللوس — أشعراً ؟

باريس — (ناظراً في مكان بعيد حيث يبدو أبو الهول
كدمارق في الضباب المذهب)

ذاك من أجله ، لا من أجل هذا العالم القائم .
اليكها ! ها هي ذى مطروحة على الأرض !

مارسيللوس — أتعلمها عن أخيك أيضاً ؟

باريس — وما عسى يجدى ذلك ؟ إنك تدري
الشحوب الذى تقنع به وجهانا !

مارسيللوس — ولكن ...

باريس — (يتناول منه كتاباً) :

فرجيل ، دائماً !

مارسيللوس — أتلهو باستمرار ، إننى أعود

دائماً إلى طريق النور حيث فتح « فرجيل »

أجفاني . يخيل إلى أنه ينادى : « أنت مارسيللوس »

والشفق المذهب مغمور بالسلام الهادئ ، يطفو

عليه صفاء وخشوع ، أعود دائماً إلى بيته العظيم

القائل « مستغندو مثل مارسيللوس » فهل يا ترى

أحول يوماً ذلك الجوال الذى اختلسه الزمان من

المشهد الثالث

باريس — (منفرداً)

لا لا ... لا أستطيع

(قوة غريبة تدفعه الى الكتابة)

هذه هى المرة الأولى من بعد فصول فارغة

وشهور خالية . لماذا ، لماذا ، لماذا يا إلهي ؟

هذا الموكب القديم ؟ الكلمات ؟ وأية كلمات تجديني

نفعاً ؟

نفيتك عني عشرين مرة أيتها النجمة الهاربة

من عالم الآلهة ، لا أريد هبتك علي ، ولا أريد أن

أميل إليك . في هذا المكان المنعزل لا أحد يشير

إلى أنك تزلين على الأرض

لا كتاب عندي ! لا شيء ... الهواء ...

الفضاء ... الريح ! ومارسيللوس وحده يتلو

« فرجيل » حالماً . ولا يدل هذا البيت على أنه

بيت شاعر ، وإنما يدل على واحدة نفس قابعة ،

التيهما قلقها

بلى ! هذا هو العنوان الوحيد الذى خلدها في

الوجود ، وهذه صناعتى الوحيدة ، إننى قلق ...

فلماذا لا تزلين تعودين نفسي وتهيجيني أيتها الآلهة

التي أكره زيارتها في كل أصباحي ؟ ولماذا توسوسين

للنفس بأبيات جديدة ؟ لا أود أن أكتب شيئاً ؟

أفهمت ؟ إن فكرتى الحيمة تذهب إلى أبعد من

عالم الكلمات ، وأنا غادرت كل عالم التعبير والألفاظ

(يكتب باملأ غير منظور)

« يا أبا الهول الأعظم ، يا وثن العدم !

الذى تدعوني إليك بمبدأ عن العالم !

الصحراء هي أوقيانوسك ، والكواكب هي

أحداقك !

يبدو لي كأنك علامة ساطعة !

خلال أعماق الأعصار والأعمار

مارسيللوس « وإن حظك كله يتمثل في ذلك الغد
(يتعد قليلا وباريس يهز كتفيه باستعظام يعود
مارسيللوس على أثره)

مارسيللوس - نسيت أن أنبئك شيئا عظيما .
على قيد خطوتين منى في الطريق أتعلم أنى لمحت
« إزابيلا موتى » ؟

باريس - (بدعشة)

إزابيلا موتى ...

مارسيللوس - هى ذاتها

باريس - لآسى !

مارسيللوس - لم تكن وحيدة ، كان يتبعها
أرحاى وجدها هيلين

باريس - إن هذا الجنون : لا أستطيع أن
أراها ... لا ! لا أستطيع ... إن الشاعر قد انتحرق
نفسه ، وإننى أطرده كل ما يحدثنى الماضى عنه باسأله عذب
إزابيلا ... إنه اسم غدا بعيدا عنى ... إنها

هى التى قررت منها فرارى من القدر

(يفرع باب الحديقة)

مارسيللوس - آه هم أنفسهم

باريس - لالا ! لماذا ضعفت ؟ إن قاتلى يذود
عنى إزاء الفن الى الأبد ... لتدخل ...

(مارسيللوس يتطرق ليفتح الباب ويقف لحظة جمداً)

نعم ! لتدخل ! لقد كنت أخاف قبلاً ، والآن
يتراءى لى كل شيء إزاء أبى الهول بخاراً متلاشياً .

إذهب الى اقائها ، ولتأت وتعلم أن كل شيء
- حيث بقيم أبو الهول - سحاب عابر : إنها

أصبحت - عندى - لا شيء

إزابيلا - (صائحة)

باريس !

(تتقدم يداها ثم سقطان على فراخ)

هذا الذى كان يكتب لى قبلاً

(يذبح)

هيلين هنري

مشملة ؟ وهل أموت قبل أن أستنفذ فكرتى ؟
قبل أن أضوى من الحياة وقبل أن أجد « فرجيلا »
يحملنى فى النهاية خالداً ؟

باريس - ولماذا تنسكلم عن الموت ؟

مارسيللوس - أتعلم لماذا أحلم به ؟

إنى إذا احتضرت قبلك على هذه الرمال المحرقة ،
وإذا قدر لى أن أكون السابق وأنت اللاحق ،
وإذا قدر أن يكون للأصغر أمر إرشادك إلى الطريق
فى هذه الظلمات حيث ينهزم آخر فشل ، إذا قدر
لك يا أخى البكر أن تقتنى أنت قبس مشعل لتتزل
فى ميثاوك ، فأقسم لى بأنك تتناول القيثارة الممعل
المحطم قطعاً على الشاطئ بقلب شجاع . أقسم لى
بأنك تجملانى خالداً فى شعرك . إن جزع الموت
يخف على وقعه إذا جثتنى خلاله وإذا قدمت واضماً
على لحدى إكليلاً من الفار ... أقسم !

باريس - (باستعظام)

إنى مقسم لك ... ولكن لماذا يساورك هذا
الشك فى نصيبنا ؟ إننا سنموت معاً فى يوم لا يزال
بعيداً ، نموت كهلين هادين عارفين سره الأكبر
مارسيللوس - (منهداً)

إننى فى ريب من ذلك ؟ إننى لا أجد طريقاً
أمام قدى الفتيين ... وبخيل إلى أن كل شيء منته
أو محدود ، ولكن هذا ليس له جمال غريب ؟
جماله بالآلى على هذه الأرض الصفراء التى طرحنا
عليها القدر ، لا ترى من كل شيء إلا شبحاً ومميراً ،
لا نكتهل ولا نتألم ولا نحب . نرى كل شيء بعيداً
دون أن نألفه أو نأنس به . غير متروحين الا وردة
الغد !

أخى ! ليس هذا القدر بقبيح ، أقسم لك
على ذلك

بقول البيت الناقص : « ستغدو أنت